وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

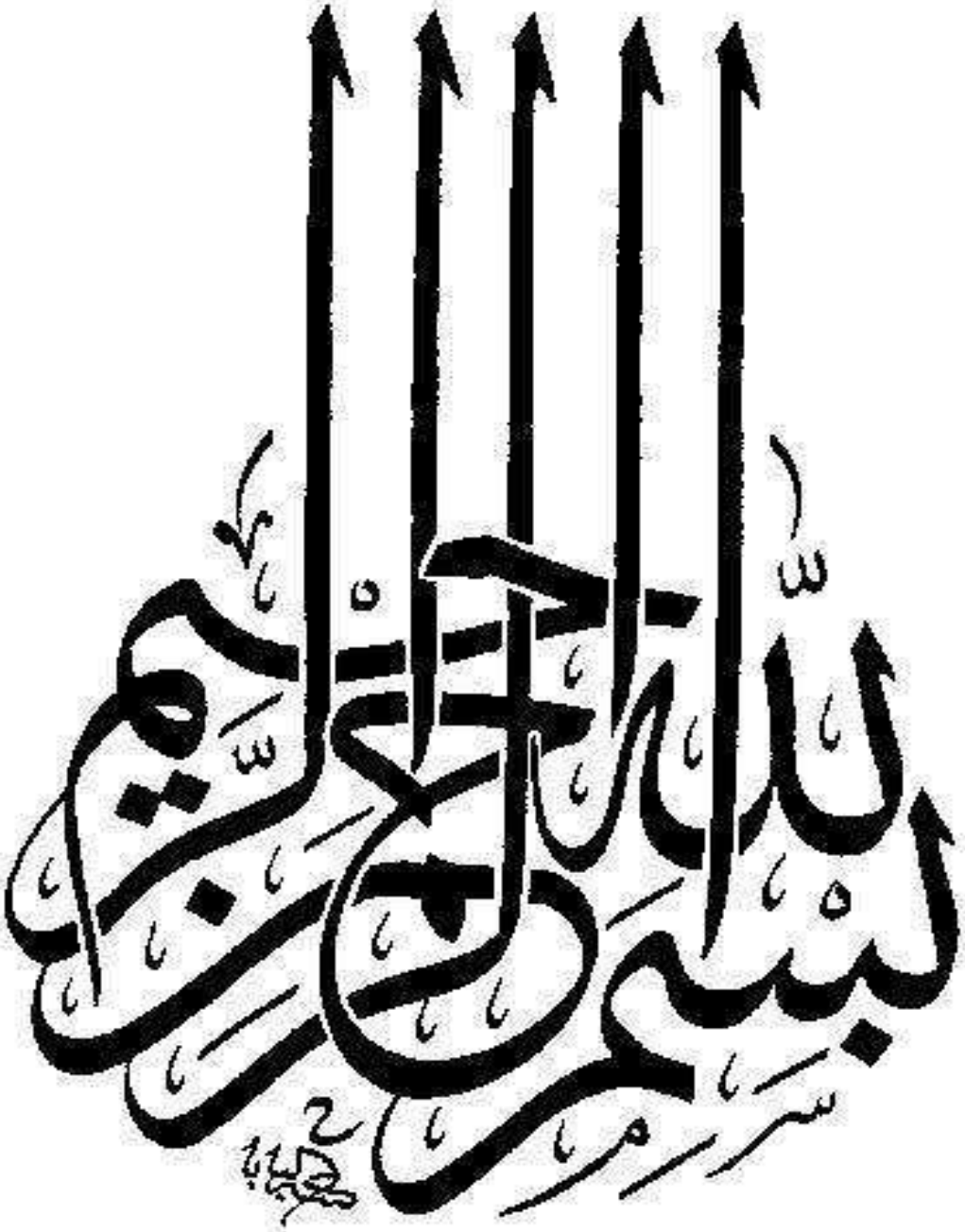
تطور صناعة السفن الاسلامية في حوض البحر المتوسط من القرن (1هـ-5هـ/7م-11م)

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في دراسات وتاريخ حضارة العصر الوسيط

إعداد:
حسيبة عزيزي.
سامية بولرياح.

إشراف:
أ.د توفيق عبد الصمد مزاري.

السنة الجامعية:1436-1437هـ /2015-2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد و الشّكر لله الذّي أنار لنا درب العلم و المعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا على إنجاز هذا العمل.

يسعدني أن أغتنم فرصة تقديم هذه الدّراسة المتواضعة لتوجيه شكري وامتناني إلى الأستاذ المشرف " **توفيق مزاري عبد الصمد** " الذّي استطاع ببصيرته النّافذة أن يدفعني إلى إنجاز هذا العمل وتخطّي الصعوبات التّي صادفتني خلال إنجاز هذا العمل .

كما نتقدّم بالشّكر الجزيل إلى الأستاذة الذين قاموا بإرشادناو توجيهنا .

كما نشكر مسبقا اللّجنة المشرفة المكوّنة من الأساتذة الكرام الذّين سيتكفّلون بمناقشة مذكّرتنا .

إهداء

الشكر الجزيل لصاحب الفضل العظيم الحسبي وكفيلي الله عزوجل راجية منه ان يتقبل عملي مع قلت جهدي الى من قارن الله طاعته بطاعتها الى من قال فيها النبي ﷺ ان الجنة تحت اقدامها الى الحب الدافيءفي قلبي وتربعت فيه دون منازع ،الى من بدعائها انارت طريقي وسط الظلام جوهرة القلب ومعه العين ومنبع الحنان امي الغالية

الى الذي لم يبخل على بكل مايملك والذي اذا بقيت أعد فضائله فلن أحصيه إلى من أضاء مستقبلي وكان دوما سندي "أبي الغالي "

إلى مصباح أفكاري التي دللت الصعاب و أرادت لي العلم و النجاح منبر الصبر و الثقة إلى من تعبت لأرتاح وحر ت على نجاحي وساندت بكل مشواري دراسي ماديا ومعنويا إلى الأقرب إلى قلبي أختي الحنونة " زهية "

إلى منبع المحبة و الفداء و النقاء عائلتي :

إلى الذين كانوا شجرة الأخوة التي قطفت منها ثمار الحب الخالص إلى من زرعوا الأمل ورسموا الابتسامة على وجه إلى من أحبهم دوما إخوتي وعائلتي الكريمة : شهرة، فائزة، نسيمة، سيد أحمد، ميلود ، زكرياء،أحمد ، عمي ،زوجة عمي ، عمتي، جدتي الغالية

إلى شموع العائلة رامي ، رتاج ، أيوب ، محسن .

إلى من قاسمتني العناء على إنهاء المذكرة وعناء الدراسة بحلوها ومرها سامية بولرياح .

الى أعز ديقاتي اللاتي جمعتني بهن خطوات الحياة و المشوار الدراسي : مريم مصايف ،مريم،عفيفة، فتيحة.

إلى كل طالب علم خا ة طلبة الماستر الدفعة 02 تخصص تاريخ وسيط بجامعة الدكتور يحي فارس .

إلى الأستاذ المحترم الدكتور توفيق عبد الصمد مزاري .

إلى جميع أساتذة التاريخ الوسيط بجامعة الدكتور يحي فارس بالمدية .

على كل من تذكرهم قلبي ونسيهم قلمي أهدي هذا الهمل المتواضع أهديكم جميعا هذا العمل

حسيبة

الإهـــــداء

إلى الشّمعة التّي إحترقت لتنير لي درب حياتي إلى الوجه الذّي يبتسم حين يراني
إلى نبع الحنان الذّي سقاني و الأنس الذي واساني في أحزاني إلى الغالية التّي لا أرى الأمل إلّا في عينيها
"أمّي "الغالية أهدي لكي ثمرة نجاحي.
إلى من تحدّى الدّنيا وتعب وجدّ لينير لي طريق نجاحي
إلى من سقى دربي ليصير اخضرار
إلى سندي وقوتي بعد خالقي إلى أبي الغالي
إلى من تعلّمت معهم أنّ الحياة صبر وعمل ومثابرة لتخطّي الصعاب وتحقيق النّجاح إخوتي الأعزّاء حكيم،مصطفى،فاتح
إلى عائلة بولرياح و " الوجدي "
إلى براعم أسرتي "إسراء ، مروى ، أيمن ، منيب "
إلى التي ساندتني في مشواري الدراسي : حسيبة عزيزي .
إلى أحلى وأروع ورود في بستان حياتي صديقاتي : مريم جاوي ، مريم فرقاني ، نادية .
إلى كلّ من يحمل لقب "بولرياح "و "الوجدي"
إلى كل طلبة الماستر تاريخ دفعة 2016.

سامية

قائـــــمـــــة المـــــختصـــــرات:

قائمة المختصرات :

الرمز	الدلالة
ج	الجزء
ح	الحاشية
ص	الصفحة
ط	الطبعة
مج	المجلد
تح	تحقيق
تر	ترجمة
دت	دون تاريخ
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة

استعانت الدولة الاسلامية في اوائل عهدها في بناء السفن على ابناء الامم التي دانت لها وخضعت لحكمها وفيها الملاحون الذين حذقوا هذه الصنعة وبرعوا فيها ولما استقر ملكهم واتسع سلطانهم ورست اساطيلهم على مرافئ وموانئ البحار والمحيطات البعيدة تكررت ممارستهم للبحر وثقافته برعوا منهم صناع اتقنوا في عمل السفن البحرية واكثروا من بناءها حتى ملئوا البحار بالجواري و المنشات ووضعوا لها اسماء بحسب اختلاف اشكالها وتباين احجامها على انه مهما تعددت انواع السفن وتنوعت حجومها لاتخرج عن كون جزئها السابح في الماء يشبه الحوت في عومه وفي ذالك يقول ابن خلدون وهي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه في الماء بقوادمه ليكون ذالك الشكل اعون لها في مصادمة الماء ة.وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح .وربما اعينه بحركة المقاذيف كما في الاساطيل قد انشا وا دور الصناعات.لعمل السفن واعداد معداتها واختصوا بذالك من ممالكها ماكان اقرب لبحر الروم وعلى حافته كالشام ومصر وتونس وغيرها لتصد اساطيلها غارات الروم وغيرها من امم اروبا .

ويعد موضوع صناعة السفن في البحر الابيض المتوسط خلال القرن 1هـ-5هـ/7م-11م من المواضيع التي تستحق الاهتمام والنظر فيها .حيث يعتبر البحر الابيض المتوسط بمثابة فضاء حيوي سعت الى احتوائه العديد من القوى والكيانات .ولقد لعبت فيه السفن والاساطيل جزءاهاما في المجال الاقتصادي والعسكري .وبقيت السفن الاسلامية ملكة البحر الابيض المتوسط واصبحت قدوة الاروبين عند اول نهضتهم في انشاء سفنهم التي تقدمت بفضل التمدن الحديث

دواعي اختيار الموضوع :

ان اختيارنا لهذا الموضوع جاء لعدة اسباب ذاتية واخرى موضوعية وكذالك ميولونا الشخصي لدراسة صناعة السفن في البحر الابيض المتوسط ولان هذا الموضوع لم يعطي حقه من الدراسة مما جعلنا نحاول التعمق والاحاطة بالعديد من الجوانب رغبة منا في تقديم معلومات تاريخية من اثراء المعرفة العلمية لدى الباحثين والمثقفين الراغبين في معرفة صناعة السفن والدور الذي لعبته في البحر الابيض المتوسط خلال القرن 1هـ-5هـ/7م-11م وندرة الابحاث الجامعية حول هذا الموضوع والشغف العلمي لمعرفة عوامل نشاتها والدور الذي لعبته في المجال التجاري والعسكري .

أهمية الموضوع :

-شغلت السفن الإسلامية مركزا طليعا في تاريخ البحار و المحيطات وخاصة في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 1 و 5هـ/7م-11م ومن الأسباب الرئيسية التي جعلتنا نتناول هذا الموضوع للدراسة و البحث من مختلف نواحيه نظرا لأهميته بالنسبة للتاريخ العربي الإسلامي بوجه خاص و التاريخ العلمي بوجه عام.

-دراسة العوامل التي ساعدت على نشأة السفن .

-التعريف بأنواع السفن التي عرفها العرب و استخدمها في حروبهم وتجارتهم وغيرها من الأغراض.

- التعريف بأهم القواعد و المراكز و الدور الذي لعبته و التي كانت جزءا من المغرب الإسلامي بأقسامه الثلاث الأدنى و الأوسط و الأقصى.

- الدور الهام الذي لعبته السفن الإسلامية في المجال التجاري و العسكري .

الاشكالية : تمحورت دراستنا على النحو التالي :

-ماهي عوامل التي ادت الى تطور صناعة السفن في البحر الابيض المتوسط ؟

ومن هنا نطرح التساؤلات التالية :

ماهي انواع السفن في البحر الابيض المتوسط؟ وما هي اهم قواعدها؟ وماهي مجالات استخدامها؟

المنهجية:

ولقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الذي يرصد وينقل مامضى من وقائع واحداث وكذالك المنهج الوصفي من خلال وصفنا لانواع السفن الاسلاميةو بالاضافة الى منهج المقارنة .

خطة البحث : بناءا على المادة العلمية التي توفر لنا قد قسمنا بحثنا الى ثلاث مباحث يحتوي كل مبحث على عنصرين :

المبحث الاول ظهور صناعة السفن وعوامل نشاتهافي البحر الابيض المتوسط 1هـ-5هـ/7م-11م وادرجنا داخله عنصرين الاول يتحدث عن تعريف السفينة والثاني يتحدث عن عوامل نشاة صناعة السفن اما المبحث الثاني يحمل انواع السفن ومعداتها وقواعدها وادرجنا فيها عنصرين الاول يتحدث عن انواع السفن ومعداتها والثاني قواعد ومراكز صناعة السفن والمبحث الثالث تحت عنوان صناعة السفن التجارية والعسكرية ويحتوي على عنصرين الاول السفن التجارية والثاني السفن العسكرية وختمنا بحثنا بخاتمة عامة.

1/ التعريف باهم المصادر والمراجع:

1/المصادر :

اثرينا البيبليوغرافيا المستخدمة في بحثنا هذا فتنوعت بين المصادر والمراجع ورسائل المتخصصة في الموضوع مع ترجيح المؤلفات المصدرية .وهذا لطبيعة الموضوع وفترة الدراسة ومن هذه المصادر التي استخدمناها بشكل مكثف هي كتب الرحالة ومنها .

-البكري :(ت487هـ/1094م) كتابه المسالك والممالك واعتمدنا علىالجزء المسمى المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو كتاب مهم ومتميز نظرا لذكره للموانئ التي لم يعدها سابقوه ولم تذكرها المصادر التي جاءت بعده فقد اعد 42 ميناء اومرسى .فهو يعطي مادة دقيقة وموثوقة عن القرن 5هـ/11م.

الادريسي:(ت560هـ/1160م) وكتابه نزهة المشتاق في اختراق الافاق الذي الفة لملك صقلية النورماندي روجر الثاني وهو يعطينا وصفا مهما لنشاط سواحل المغرب الاوسط ودور الصناعة والمقومات الطبيعية لموانئه .وقد ذكر قرابة 46 ميناء .

-المقدسي:(ت378هـ /988م) كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم وقد تميز عمل المقدسي بثراءه بالمادة الجغرافية ويعتبر كتابه من اهم المصادر في علم الجغرافيا وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الاقاليم لانه قدم في مؤلفة معلومات فريدة لم يسبقه اليها أي رحالة او جغرافي في هذا المجال حيث انه وضع البلاد التي كتب عنها وزارها بالرسوم والخرائط.

-ابن حوقل :(ت367هـ/968م)كتابه صورة الارض الذي تحدث عن المدن والمراكز التجارية كل واحدة منها على حدى في القسم الخاص بالمغرب وبذالك يكون قد رسم لنا صورة واضحة عن الوضع الاقتصادي بصفة عامة والتجاري بصفة خاصة .

كما اعتمدنا على كتابين المقدمة والعبر لصاحبهما ابن خلدون الذي تناول فيه الحياة البشرية وانشاء الاساطيل وركوب البحر.

2/المراجع:

اما عن المراجع والدراسات الملمة بموضوعنا فهي متعددة كان من ابرزها :

-كتاب السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي :تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس.

-وفيق بركات : فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الاسلامي .

-سعاد ماهر: البحرية الاسلامية في مصر الاسلامية .

عوبات الدراسة:

من الصعوبات التي واجهتنا اثناء القيام بعملنا هي قلة المصادر التي تخصصت في الموضوع الدراسة وصعوبة اقتناء الكتب وإخراجها من المكتبة الخارجية .وضيق الوقت الذي قسمناه بين التنقل الى المكتبات والتربص.

وفي الاخير نرجو ان نكون قد وفقنا ولو بإعطاء لمحة عن هذا الموضوع وان تكون المذكرة قد استوفت على الاقل اهم اهدافها.

مدخل

مدخل: الأوضاع السياسية والعسكرية قبل تطور ناعة السفن:

كانت الامبراطورية البيزنطية تحتفظ باحواض لبناء السفن في الاسكندرية والقلزم السويس ويبدو من البدايات ان المسلمين قد استفادوا من هاتين السفينتين وبدؤا في بناء اسطولهم بمساعدة صناع السفن من اليونانين والاقباط [1] و كان العرب يبنون سفنهم الحربية على امثلة سفن الصين واليونان والرومان لانهم اخذوا هذه الصناعة عن تلك الامم وعدلوها وكانت هذه السفن تتحرك بالمجاذيف والشراعات معا وكان للرومان سفن كثيرة المجاذيف جعلوا فيها كل مجداف ملاحا حاملا درعا من الفولاذ .

وجعلوا لبعض السفن أشرعة مثلثة ولبعضها اشرعة مربعة .وكان بعض هذه السفن يتركب من طبقة او طبقتين وهكذا كان عند العرب [2] .من انواع السفن التي كانت تستعملها الشواني الحربية والتي تعتبر من اهم القطع التي كان يتالف منها الاسطول في الدولة الرومانية واعظمها شأنا هي الاجفان مراكب حربية كبيرة كانول يقيمون فيها ابراج وقلاعا للدفاع والهجوم .وكان الرومانيون يجعلون لبعضها ابراجا مربعة في الوسط ذات طبقات يقف في الطبقة العليا منها العساكر المسلحة السهام وفي الطبقة السفلى الملاحو ن بالمجاذيف يسيرونها حيث يريدون.اضافة الاغربة لانها تشبه الغراب لان الرومان كانوا يصنعونها على اشكال الطيور.وكذالك كوريتاي استخدم في القرن الاول قبل الميلاد .وكانت هنالك قاعدة لتموين اساطيلهم بالقرب من ليدني على نهر سيفرن .

فقد بدات الحاجة اليها مع كبر الدولة واتساعها واختلاط اهلها بالامم المجاورة لها فاقتبسوا عن تلك الامم لما لها من ضروب الصناعة فبنوا السفن اولا على امثلة سفنهم ثم عدلوها بعد ذالك واتقنوا صناعتها وزادوا في معداتها .لما بلغت دولتهم اوج الكمال وازدهرت مدنهم بانوار العرفان .فلما جاء الاسلام وامتدت فتوحاته وخفقت اعلام المسلمين على سواحل سوريا ومصر وغيرها وشاهدوا سفن الروم بدات عندهم فكرة الغزو في البحر وتهاتفت انفسهم الى انشاء السفن الحربية .وكان

---

[1] وفيق بركات : فن الحرب البحرية ، معهد التراث العلمي ، 1416هـ /1995م ، ص149.

[2] عبادة عبد الفتاح : سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام مطبعة الهلال ، مصر ،1913م،ص ص3-4.

اسطول صقلية في الطرف الجنوبي الغربي من ايطاليا هاما جدا احتفظ بواجباته التي تمثلت في الغالب في الحراسة والنقل وحفظ الامن في البحار عموما .وكذالك قد احتفظ بمستلزماته الخاصة من سفن الحرب زالبحارة ودور الصناعة واحواض البناء والمعدات البحرية الاخرى .

وكان نظام القوة البيزنطية في صورته الاخيرة في اوخر القرن 7م واوئل القرن 8م مكونا على الوجه الآتي :

اسطول حربي دائم قوامه اسطول مركزي امبراطوري واربعة اساطيل اقليمية وترابط ثلاثة من هذه الاساطيل في الجانب الشرقي من البحر المتوسط .واثنان في الطرف الغربي منه. [1]

([1]) أرشيبالد لويس ، **القوى البحرية و التجارية 500 –1100 م** ، ترأحمد مُحَّد عيسى وتح مُحَّد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ،ص ص29-30.

المبحث الأول

المبحث الأوّل : ظهور ناعة السفن في البحر الأبيض المتوسط

1/ تعريف السفينة

2/عوامل نشأة السفن

المبحث الأوّل: ظهور ناعة السفن في البحر المتوسط

1 – تعريف مصطلح السفينة : سَفَنَهُ يَسْفنَهُ : قَشَرَه، ومنه السفينة لقشرها وجه الماء ج: سفائن و سفن وسفين وصانيعيها : سفّان وحرفته السفانة و السفن، محرّكة : جلد أخشن وحجر ينحت به ويلين أو كلّ ما ينحت به ويلين أو كلّ ما ينحت به الشيئ كالمسفن، كمنبر وقطعة خشناء من جلد ضبّ أوسمكة، يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة.

وسفنت الريح كنصر وعلم : هبّت على وجه الأرض، فهي ريح سفون وسافنة ج: سوافن

و السّافين : عرق في باطن الصّلب طولاً متصل به نباط القلب.

والسفانة: مشدّدة اللؤلؤة، زبنت حاتم طيّ وسَفَيَّنَةٌ، بكسر السين وفتح الفاء و النون المشدّدة : طائر بمصر، لا يقع على شجرة إلّا اكل جميع ورقها، وَلَقَبُ إبراهيم بن الحسين أبن ديزيل الهمذاني، لثقب به لانّه إذا اتى محدّثا كتب جميع حديثه، وكشّاي حيّة بين نصيبين وجزيرة ابن عمر.

ونَجيب بن ميمون الواسطي الفّاني : محدّث وكأمير : ع بالمشرق وسفينة: مولى رسول الله صلّى الله عليه و سلّم او مولى ام سلمة و اسمه مهران و سُفيان : في الياء [1].

السفينة : (جمعها سَفَائن وسفن وسفين) وهي الجارية من المراكب الكبيرة (من سفن الشيئ أي قشرة) وقد سميت كذلك لقشرها وجه الماء.

و السفينة هي واسطة النقل على وجه المِاءْ في الأنْهار وفي البحار .وهي من الكلمات المعروفة في عربيتنا، وقد أشير إليها في شعر عمرو بن كلثوم :

مَلَأْنَا البر حتى ضاق عنَّا ومَوج البحر نملؤه سفينَا

وقد وردت لفظة (سفينة) و (السفينة) في القرآن الكريم ويدلّ لك على انّها من الألفاظ التي كانت معروفة و مستعملة بهذا المعنى في أيّام ظهور الإسلام .

---

[1] الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ط 8، 2005م، مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، اشراف مُحَمَّد نعيم العرقسي، ص1205.

ويعبَّر عن السفينة بلفظة أخرى هي (الفُلك)، وتقع على الواحد و الإثنين و الجمع. وقد وردت في مواضع متعدّدة من القرآن الكريم [1].

كما يعبّر عنها بـ (مركب)، و الجمع مراكبْ، ولو انّ المركبْ كلمة عامّة تطلق على كلّ ما يركب عليه، فالدوابْ هي مركبْ أيضصا لما يركب عليه، فالدوابْ هي مركب أيضا لمن يركبها، غير أنّ (المركبْ) السفينة على سبيل التغليب وَ الإصلاح، وقد عبّر القرآن الكريم عن السفن و المراكبْ بلفظة " الجاريات" "، وفي مواضع أخرى و (الجارية) المركبْ أيضًا، صفة غالبة لانّها تجري على الماء[2] .

وقد وردت لفظة " الفُلك" بصورة خاصّة تعبر عن سفينة نوح عليه السلام الواردة في الطُوفان، ويذكر بعض المفسّرين أنّ السفينة، أي (الفلْك)، كانت مصنوعة من خشب الساج، وكانت (ذات ألواح و دُسُرْ) أي تنّ ألواحها قد التصقت بعضها ببعض ب "د سر" وهي المسامير[3] .

وورد في القرآن الكريم :"❐◆✂🖳→🖪🖴🖮✂☹🕭🖍✂ ✂🖳🖪🖴🖮✂◆❐ 🖍🖮🖴✂🖍🖮🖴✂⧫⇔❷🏴❽ ✂❼ 🖍🖮🖴✂♦⧫🖮🖴✂❷🏴❽🖍❐✍ " [4] .

وورد في الشعر .

جوافيل في السراب كما استقلّت فلوك البحر زال بهما الشريد وض الفلوك هنا جمع (الفلك)، وأمّا الشريد، فشجر البحر . ويظهر مِنْ هنا أنّ (الفلك) هِي سفينة من سفن البحر. وهي من السفن الكبيرة .

---

[1] مُحَمَّدفؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر، 1981م، ص526.

[2] السيد مُحَمَّد المرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جوهر القاموس**،ج10وزارة الاعلام، مطبعة الحكومة، الكويت،ص72.

[3] السيد مُحَمَّد المرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس**، المرجع نفسه، ج3، ص316.

[4] البقرة، الآية 164

ولقد وَرَدَتْ في القرآن الكريم إشارات إلى صنع الفلك وإلى سيرها بواخر في البحر[1].

2- عوامل نشأة السفن

أوّلا : كان الرومان لا يزالون يحتفظون ببعض القلاع على الشواطئ الشامية للبحر الأبيض المتوسط وكانوا يجلبون إليها ما يحتاجه المرابطون بها من المؤن و الأسلحة بواسطة الأسطول الروماني الذي كانت له السيطرة البحرية في ذلك الوقت لهذا رأى معاوية بن أبي سفيان أنّ المسلمون لن يتمكّنوا من فتح تلك المعاقل إلا إذا قطعوا المدن عنها ولا يتأتى ذلك إلا إذا أنشأوا لهم أسطولا بحريا يستطيع أن يجول بين الأسطول الروماني و بين الأسطول إلى شاطئ الشامية.

ثانيا: كذلك رأى معاوية انّ المدن الإسلامية على السواحل الشامية و المصرية و الإفريقية تحتاج إلى حمايتها إلى الأسطول الإسلامي يبعد عنها خطر الأسطول الروماني ويجمعها في محاولة الروم إستردادها إلى حوزتهم .

ثالثا: وكان من الأسباب الداعية لإنشاء الأسطول لاستخدامه في فتح القسطنطينية لطول الطريق البري الموصل إليها وصعوبته.

رابعا : لتكون مراكز بحرية دفاعية وهجومية في عرض البحر المتوسط للدفاع عن سواحل الدولة الإسلامية ومنع الأسطول الروماني من الاقتراب منها .

لهذا أرسل معاوية أمير الشام إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في بناء أسطول إسلامي يحمي الشواطئ الإسلامية من هجمات الأسطول الروماني.
إلّا أنّ أمير المؤمنين عمر استشار عمرو بن العاص و أبي مصر في ذاك الوقت وطلب منه أن يصف له البحر وركوبه، فعظم عمر وخطر البحر على من يركبه فرفض عمر رضي الله عنه السماح لمعاوية ببناء أسطول حرصا على سلامة المسلمين[2].
وبعد وفاة الخليفة عمر رضي الله عنه وتولى اللافة من بعده عثمان بن عفان فاستجاب له الخليفة عثمان واشترط عليه أن يكره أحدا على ركوب البحر وأن يقصر ركوبه على المتطوعين فقط .

---

[1] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج7،ب ط2، غداد لنشر، 1هـ-1993م، ص247.

[2])حسن ابراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، ج1، ص482.

فانتهز معاوية موافقة الخليفة له ببناء أسطول إسلامي، فبذل غاية جهده في تحقيق فكرته مستعينا بالأخشاب الصالحة لبناء السفن من غابات لبنان بالشام بالصناع المهرة من السريان و الروم من رعايا الدولة الإسلامية فبنوا سفنا سريعة لحركة تتسع لمائة راكب، وسفنا كبيرة تتسع لألف راكب.

وقد تمكن معاوية من بناء عدد كبير من السفن حتى بلغ أسطوله 1700 سفينة وأضيف إليه فيما بعد ما عتمه المسلمون من سفن الأسطول الروماني، ولما لم يكن لدى المسلمين خبرة بتشغيل السفن استعان معاوية بمن أسلم من أهل الشام و الإغريق.

كما استعان بعرب اليمن من الغساسنة الأزد ومن عناصر يمنية أخرى من قضاعه، ولما استقدمهم من اليمن من كانت لهم خبرة بحرية اكتسبوها لقرب بلادهم من السواحل البحرية وعملهم في نقل التجارة بين البحر الأحمر و المحيط الهندي، ونظم معاوية التعاون بين الجيوش البرية و الأساطيل تنظيما دقيقا واشتهر من قادة البحر سير بن أرطأة ومالك بتهبيره السكوني و المنذرين زهير وخالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وفصنا له بن عبيدة الأنصاري ويزيد بن شجرة الرهاوي وعقبة بن نافع وجنادة بن أبي أمية الأزدي وغيرهم، هذا ولم يكن غزوا البحر محصورا بأهل الشام من ابناء السواحل وأهل مصر فقط بل أصبح جميع المسلمين مجاهدين في البر و البحر على حد سواء، سواء أكانوا من أهل البادية الذين لم يرو البحر طيلة حياتهم أم أبناء السواحل الذين اعتادوا على العمل به، وكلهم يجيد القتال ويحسن التصرف ويصخي بكل شيئ.

واكبت الصناعة حركة التطور العمراني بالدولة الأموية، فظهرت وتطورت صناعة مستلزمات البناء، إضافة إلى تأثر الصناعة بالجو العسكري السائد في معظم فترات العصر الأموي، حيث تطورت صناعة السفن التجارية، وقد اهتمت الدولة الأموية ببناء أسطول حريب ليقف في وجه الأسطول الحربي البحري البيزنطي و الذي كان يهدد سلامة الشواطئ الغربية للدولة الإسلامية، فتطورت صناعة السفن الحربية في العصر الأموي بشكل كبير ومتلاحق فقد كان الإنتاج في بداية العصر الأموي مقتصرا على السفن، التي كانت تنفرد مصر بصنعتها حتى عام 49هـ [1]، حيث امر معاوية بن أبي سفيان بإنشاء دار لصناعة السفن بالشام بمدينة عكا وقد استقدم من مصر الخبراء للاستفادة منهم في دار الصناعة الجديدة و التي تميزت بسهولة حصولها على الأخشاب من جبال لبنان، ثم تطورت هذه الصناعة فانشأت في مصر منطقة صناعية جديدة خاصة بصناعة السفن الحربية وذلك عام 54هـ

[1] مُحَمَّد كردعلي، **خطط الشام**، ج1، ط3، مكتبة النويري، دمشق ، 1983م، ص36.

استمرت الدولة الاموية في تطوير صناعة السفن، فيما بعد عهد معاوية وقد أصبحت مناطق دور صناعة السفن الحربية مناطق جذب سكاني، كما أصبحت مناطق جذب وتوطن صناعي فأصبحت أماكن استثمار خصبة، حيث أنشأت فيها الفنادق وساعد على نمو وتطور هذه الصناعة ما اتسمت به منذ بداية نشأتها من دقة التنظيم ومن صورة هذه ابتكار وظيفة المشرف العام على دار الصناعة ويسمى متولي الصناعة ومن أبرز مهامه جمع الطاقات البشرية الفنية العاملة في هذا المجال وأدرك معاوية أنّ سواحل الشام لاينجيها من غزوات الروم إلّا إيجاد أسطول عربي يغزو سواحلهم الحين بعد الحين. [1]

ومن مهام عامل الصناعة توفير الأدوات الخام مثل: الأخشاب و المسامير وغيره من مستلزمات دار الصناعة وعليه يمكن القول أنّ التنظيم كعنصر من عناصر الإنتاج في العصر الحديث ترجع جذوره إلى القطاع العام الصناعي في العصر الأموي، أو "عامل الصناعة" ومن صور دقة تنظيم هذه الصناعة، الإهتمام بتجديد أجور العمال، وتوفير الكميات الغذائية الازمة لهم، كما حرصت الدولة على توفير سبل الراحة للعاملين في هذه الصناعة وتوفير وحدات سكينة للعمال، و المشرفين على هذه الصناعة داخل دور الصناعة، وكذلك وحدات سكينة للعمال، والمشرفين على هذه الصناعة داخل دور الصناعة، وكذلك وحدات لتموين السفن الحربية بالسرعة و الدقة المطلوبة وتنتج عن ذلك كلّه تطور هائل في حجم الأسطول البحري إبان العهد الأموي [2] .

ولكي نأخذ فكرة عن مدى التقدم الذي أحرزه الأمويين في سياستهم البحرية يكفي أن نذكر بأن الأسطول العربي الذي توجّه في خلافة سليمان بن عبد الملك لدعم القوات البرية ولإحكام الحصار على القسطنطينية برا وبحرا كان يتألف من 1800 سفينة فيها سفن حربية Kampfschiffen وسفن لنقل المؤن Provand schiffen أصغر حجما ولكنها كانت تضم (100) من المقاتلين المسلحين تسليحا ثقيلا أمّا عن أشكال السفن الحربية ومعداتها في العصر الأموي فإنّ مصادرنا لا تمدّنا على الإطلاق، وأكبر الظّن أنّها لم تكن تختلف كثيرا عن السفن المعروفة لدى الروم في ذلك العصر لأنّها كانت من صناعة عمال تأثرو بالأساليب لامعروفة عند الرومان و

([1]) مُحَمَّد كردعلي، المرجع السابق، ص36.

([2]) علي مُحَمَّد الصلابي، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، ط 2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1429هـ-2008م، ص ص272 -273.

البيزنطيين ويمكن القول أنّ القوات البحرية لم تظهر بشكلها المنظّم إلّا في عصر عهد المتوكّل وفي مصر[1] .

-من الصناعات التي اشتهرت في العهد الأموي صناعة السفن التجارية ولم تكن السفن الحربية تختلف كثيرا عن السفن التجارية ومع ذلك كانت مناطق تصنيعها مختلفة فلقد اختصت منطقة البحرين أكثر من غيرها إنتاج السفن التجارية، في حين كانت مصر وعكا وتوسن مواطن تصنيع السفن الحربية وساعد البحرين على ذلك وقوعها على الخليج العربي، و الذي كان يعد من أهم طرق المواصلات التجارية البحرية بين الشرق و الغرب وكذا ما اكتسبه اهلها من خبرة ملاحية نتيجة إحتكاكهم بشعوب لديها خبرات ملاحية كشعوب الهند و الصين ولم تقتصر صناعة السفن على البحرين بل امتدت إلى مدينة واسط بالعراق وقد تطورت هذه الصناعة في عصر ولاة الحجاج بصفة خاصة فقد أدخل تحسينات على صناعة السفن التجارية لتسطيع السير في عرض البحر، فأمر بتكبير حجمها واستخدام المسامير لتقويتها و الاهتمام بهيكلها العظمي وكانت السفن التجارية لتقويتها التي تصنع في واسط تسمى الواسطة وكانت تتيح مدينة واسط القوارب الصغيرة، والتي كانت تستخدم للنزهة و السفر ونقل السلع التجارية بين وسط و البصرة لضخامة الطريق النهري بينهما وعدم قدرة السفن على السير فيه ولم تكن مراكز إنتاج السفن التجارية فقط وإن كان هو الغالب عليها بل كان لديها القدرة المزدوجة رفقة قام الحجاج أيضا بناء قوّة عسكرية بحرية بالخليج وبحر الهند[2] بالإضافة إلى أسباب أخرى وهي :

أ- ضرورة للدفاع عن المدن الساحلية التي تمّ فتحها :

يشكل الانتصار الحاسم الذي احرزته الجيوش العربية الإسلامية على الجيوش البيزنطية في موقعة اليرموك نقطة تحول هامّة في حركة الفتوح العربية أدّت إلى انهيار قوى الرّوم و انفصال الشام عن جسم الامبراطورية البيزنطية [3] .

([1]) نجدت خماسين، **الشام في مدر الاسلام من الفتح حتى سقوطخلافة بني امية دراسة للاوضاع الاجتماعية والادارية**، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1987م، ص ص، 381، 382.

([2]) علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص274.

[3] السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في مصر و الشام**، جامعة بيروت العربية، 1972م، ص21.

وأخذت مدن الشام في الشمال و الجنوب تساقط سريعا في أيدي العرب، وبعد فتح دمشق توجّهوا إلى فتح مدن الساحل الشامي مثل حيدا أو بيروت و جبيل وعرقا و اللاذقية و جبلة و انطرطوس [1] (طرطوس حاليا) .

ومن ثمّ أنطاكية شمالا وحتّى برقة غربا، حينئذ أبرزت أهمية الدفاع عن هذه المدن و السواحل و أصبحت الحاجة ماسّة إلى تكون أسطول بحري قادر على حمايتها و الدفاع عنها .

ب – سعي المسلمين إلى الاستيلاء على القسطنطينية :

كان يهدفون إلى القضاء على الامبراطورية البيزنطية ولم يكونوا مطمئنين إلى جانب الرّوم بعد فتح الشام و مصر، ولذلك كان عليهم أن يفتحوا القسطنطينية قلب بيزنطة و العالم القديم و قلعة الروم المنيعة و الرّأس المدبّر للتنظيم البحري للبيزينطيين في حوض البحر الشرقي [2] .

وقد حوصرت المدينة لمدّة سبع سنوات في فترة حكم معاوية (54 – 60 هـ) وكذلك أيّام سليمان بن عبد الملك عام 98هـ دون جدوى، الامر الذي دفعهم إلى التفكير بغزوها من اتجاه المغرب العربي وقد وضّح هذا الاتجاه بعد ان افتتح موسى بن نصير الأندلس، لكن هزيمة العرب في معركة بلاط الشهداء (114 هـ) وضعت حدّا لمحاولاتهم [3].

–كان هذا الهدف حافزا للدولة العربية الإسلامية منذ البداية على إنشاء أسطول بحري حربي للسيطرة أوّلا على جزر حوض البحر المتوسط الشرقي لاتخاذها نقطة إرتكاز أمامية وقواعد حربية و مراسي لأساطيلهم اتجاه السواحل البيزنطية حتى يتهيّأ لهم الإنقضاض من هذه المراكز على القسطنطينية، وهكذا غزا معاوية قبرص سنة 28 هـ وفي عام 33 هـ [4] .

---

[1] البلاذري، **فتوح البلدان**، تح صلاح الدين المجند، القسم الأول، القاهرة. 1956، ص162.

[2] السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الاسلاميةفي مصر والشام**، المرجع نفسه، ص21.

[3] السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس**، بيروت، 1970.ص105.

[4] وفيق بركات، المرجع السابق، ص18.

فتح جنادة بن أميو الأزدي رودوس سنة 52 هـ ثم جزيرة كزيكوس " وتسمى بالعربية أرواد " في مياه القسطنطينية عام 54هـ وفي سنة 55 هـ غزا جنادة جزيرة إفريطش [1] (كريت) وتهيّأ له بعد ذلك مهاجمة البيزنطية في القسطنطينية .

ج- توافر المواد الخام و الأيدي العاملة و الماهرة :

عندما عزم معاوية بن أبي سفيان (وهو بعد وال على الشام) على إنشاء أسطول عربي إسلامي كان يعلم تماما إنّ في إمكانه تحقيق هذا الهدف، فالأخشاب التي يمكن أن تضع منها ألواح السفن و الصواري و المجاذيف تتوافر في مناطق متعدّدة من الأراضي العربية في مصر و الشام فأشجار الصنوبر و الأرز و البلوط و العرعر تزخر بها جبال لبنان و سوريا، كما أنّ أخشاب السنط المصري الصالحة لعمل الصواري وضلوع جوانب السفن و خشب الحميزو الأثل و اللّبع و الدّوم التي تصلح بصناعة المجاذيف و القرايا اشتهرت بها مصر منذ أقدم العصور كذلك كان بإمكان معاوية استغلال معدن الحديد المتوفّر في مصر و الشام و بالإضافة إلى هذه الجنبيرة، وقد لعب القبط و العناصر العربية اليمينية دورا رئيسًا في صناعة السفن العربية الإسلامية [2].

د- ارتباط مصر و الشام و تضامنها في العمليات الحربية ضدّ البيزنطيين :

حتم المجال الجغرافي لمصر و بلاد الشام و المصالح الإقتصادية و السياسية المشتركة قيام روابط وثيقة بينهما منذ أقدم العصور التاريخية وقد ارتبط البلدان بمصير واحد في معظم الأحوال فتعرّضا للسيطرة الأجنبية الآشورية و الفارسية و اليونانية و الرومانية في العصر القديم وخضعا للدّولة البيزنطية ثمّ دخلا في فلك الدّولة العربية و اتبطا بوحدة وثيقة زمن الطولونيين و الإخشيديين و الفاطميين و الأيوبيين و المماليك بكارثة الغزو الصليبي و الغزو المغولي و الغزو العثماني .

وكان لتضامن مصر و الشام في مرحلة التّحدي البيزنطي للقوّة العربية، بعد حركة الفتوحات العربية الإسلامية ووقوف البلدين معًا إبّان عمليات الغزو البحري التي كانت يوجهها البيزنطيون إلى

---

[1] البلاذري، **فتوح البلدان**، المصدر السابق، ص379.

[2] وفيق بركات، المرجع نفسه، ص18.

سواحل مصر و الشّام، أكبر الأثر في تحقيق أمل بن معاوية في إنشاء بحرية عربية إسلامية [1]. أمدّتها مصر بخيرات ملاحيها وصناعها .

وكان من أثر هذا التعاون الوثيق قيام بحرية عربية إسلامية شامية مصرية مشتركة حولت خطط العرب من استراتيجية دفاعية إلى هجومية في مرحلة مبكّرة من تاريخهم الإسلامي وغمرت صفحات هذا التاريخ بالأمجاد و المفاخر و البطولات "[2] .

إذا كان عرب اليمن وحضر موت وعمان و البحرين في العصر الجاهلي بوجه عام، و العصر السبيئ بوجه خاص[3] قد برعوا في ركوب البحر بحكم موقع بلادهم على البحر الأحمر من الجهة الغربية و المحيط الهندي جنوبا جنوبا، و الخليج الفارسي شرقا، وبحكم اشتغالهم بالتجارة في البرّ و البحر في مراحل تاريخهم القديم، و احتكاكهم بشعوب بحرية، فإنّ العرب قبيل ظهور الإسلام كانوا قد نسوا كلّ اتصالهم بالبحر، و أهملوا شؤونه وفقدوا الدربة على ركوبه و خوض أهواله، و اقتصروا في تجارتهم على الطرق البرية بسبب تعرض بلادهم للسيطرة الأجنبية الجيشية و الفارسية .

فالفرس قضو على تجارة العرب في الخليج الفارسي واحتكروا لأنفسهم تجارة الهند، والأحباش منذ فتحوا اليمن وحضر موت استأثروا بالطريق التجاري عبر البحر الأحمر .

ويعلّل " ابن خلدون " تخلف العرب في ثقافة البحر و ركوبه ببداوتهم، بينما يفسّر تفوّق البيزنطيين و الإفرنجة البحري بممارستهم أهواله " ومرباهم في التقلب على أعواده " وممّا لاشكّ فيه أنّ العرب انصرفوا عن الاشتغال بالملاحة في البحر لأسباب من بينها أنّ بلادهم صحراوية تندر فيها الأشجار التي تصلح أخشابها لصناعة السفن القوية، وأنّ بلادهم – باستثناء جبال اليمن- تخلو من معدن الحديد الازم لصناعة المراسي .

و المسامير ومن الرفت و القطران، هذا بالغضافة على انّ الملاحة في البحر الأحمر كانت تكتنفها الأخطار، لكثرة الصخور و الشعاب المرجانية التي تعترض سبيل السفن [4] .

---

[1] أحمد مختار العبادي، **دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس** ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1965، ص4.

[2] وفيق بركات، المرجع السابق، ص19.

[3] مُحَمَّد ياسين الحموي، **تاريخ الأسطول العربي**، 1945م، ص8.

[4] السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس**، المرجع السابق، ص14.

وكان ظهور الإسلام إنتقالا حاسما في تاريخ العرب، إذ حقّق لهم وحدتهم السياسية، وجعل منهم أمّة قويّة موحّدة مرهوبة الجانب تغلبت في عصر الفتوحات زمن الخليفتين الرّاشد بن أبي بكر و عمر على أمم عريقة في الحضارة، لها نظم إدارية و إقتصادية ومنظمّة، وأحس العرب بعد أن افتتحوا بلاد تطلّ على البحر المتوسّط بضرورة اصطناع سياسة بحرية واجهة غارات الرّوم البحرية، الذين كانت لهم السيطرة البحرية في هذا البحر، ولم يكن الخليفة عمر بن الخطاب يرهب البحر ويخشاه أو يشفق على المسلمين من ركوبه .كما يزعم الرواة و الإخباريون ولكنّه كان يعي النّظر سديد الرّأي فالعرب كانوا ما يزالوا حيثي عهد بما بلغوه من حدود بحرية على البحر المتوسط ، و العدو الذين يواجهونه، وهم البيزنطيون، خصم عنيد متمرس في شؤونه و ثقافته متدرب على ركوبه وخوض مياهه، بخلاف الفرس الذين كانت صلتهم بالبحر أقل بكثير من البيزنطيين، ولذلك نجح العرب في أمد وجيز في تفويض دعائم الإمبراطورية الفارسية .

بينما استمرّ نظالهم مع البيزنطيين في الشام و في المغرب بوجه خاص ما يزيد على سنتين سنة، بل أنّ هذا النظال استمرّ بعد فتح الشّام و المغرب ما يقرب من أربعة قرون، ولاشكّ أنّ الخليفة عمر أدرك أنّ العرب في هذا التاريخ المبكّر لا يستطيعون مجاراة الرّوم و الفرس في البحر لقلّة خبراتهم البحرية، وقد دفعه هذا الإدراك إلى تأديب " العلاء بن الخضرمي" و الي البحرين لتغره بالمسلمين في الخليج الفارسي وتعريضهم الهلاك في سنة 17هـ ولوم " عرفجة بن هرشة الأزدي" لما أغزاه عمان فبلغه غزوه في البحر [1] وقد يكون إدراك عمر بن الخطّاب بتخلّف المسلمين البحري نتيجة لإخفاق " علقمة بن مجزر المدلجي"في حملته البحرية إلى الحشة سنة 20هـ، إذ غرقت سفنه في البحر، فكان لذلك الحادث أثر عميق في نفس الخليفة [2].

ولذلك عمد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب إلى تأسيس الأمصار الإسلامية في داخل البلاد، كما عمل على إنتهاج سياسة بحرية بفاعلية لمواجهة الخطر البيزنطي على ثغور المسلمين، فاهتم بتحصين السواحل و ترتيب المقاتلة فيها و إقامة الحرس على مناظرها [3] متوسلا في ذلك كلّه بوسائل برّية .

---

[1] **ابن خلدون، المقدمة، ج2، دار القلم، ط5، بيروت، 1984، ص628.**

[2] **السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص16.**

[3] البلاذري، **فتوح البلدان**، المصدر السابق، ص152.

واستقرت دعائم السيادة العربية الإسلامية في الشام ومصر، و أن للعرب ان يبدأو بدورهم بالهجوم، وكان لزاما عليهم في تلك الحالة أن يكون لديهم أسطول قوي يضمن لهم إحباط أي محاولة بيزنطية لإستيراد الشام ومصر من جهة البحر، ويمدّ لهم السبيل للدّفاع عن مكاسبهم وتأمين مناطق النفوذ البحرية ضدّ البيزنطيين الذّين كانوا ما تزال لهم السيادة البحرية في البحر المتوسّط، ويرجع الفضل الأعظم في إنشاء الأسطول العربي الإسلامي إلى معاوية بن ابي سفيان : "عامل الشام في خلافة كل من عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان "، الذي أدرك فضل الأساطيل للدّفاع عن السواحل ابّان غزو أخيه يزيد لسواحل الشّام .

وبدأ معاوية وهو بعد عامل على الشام بتحصين السواحل وشحنها بالمقاتلة وإقطاع من ينزل من المسلمين بالسواحل القطائع و الأخائذ [1] .

وتشجيع انتقال المسلمين إلى السواحل من كلّ مكان، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى عملية بناء السفن في مصر فاستحضر الأخشاب من غابات الأرز بلبنان و ارسلها في السفن إلى الإسكندرية، واستعان بالخبراء من القبط و بعض الملاحين من أهل مصر في صناعة السفن وتسييرها في البحر[2].

تمهيدا للسيطرة على جزر البحر المتوسط المواجهو لسواحل الشام و مصر، لاتخاذها قواعد بحرية أمامية لغزو بلاد البيزنطيين نفسها .

وإذا كان عمر بن الخطاب قد نهى معاوية عن ركوب البحر و غزو أرواد عندما إستأذنه معاوية في ذلك الأمر، فإنّ عثمان بن عفان على الضدّ من ذلك اطلق لمعاوية يده في الشام، وأذن له بغزو الروم بحرا في قبرص على ألّا يحمل النّاس الغزو كرها، وأن يصحب معه امرأته "فاختة"، ويعتبر غزو المسلمين لقبرص في سنة 38هـ أوّل غزو بحري لهم في البحر المتوسّط .

ولم يكن المسلمون قد ركبوا بحر الروم قبل هذه الغزوة [3] .

---

[1] نفسه، ص152.

[2] نفسه، ص140.

[3] البلاذري، **فتوح البلدان**، المصدر نفسه، ص181.

وفي نفس الوقت الذي تهمم معاوية بإنشاء أسطول عربي شامي كان " عبد الله بن سعد" عامل في مصر في خلافة عثمان يقوم بدوره بإنشاء أسطول عربي مصري في الجزيرة، ألقى عنه على كاهل المصريين الأقباط، وقد إشترك الأسطول المصري مع الأسطول الشامي في غزو قبرص، كما اشترك الأسطولان معا في واقعة " ذات الصواري " التي حدثت سنة 34هـ وفيها انتصر المسلمون انتصارا حاسما ثبت لهم السيطرة في البحر المتوسط و التفوق على البيزنطيين، ويعلق الأستاذ "فتحي عثمان" على انتصار العرب في ذات الصواري بأنّها تعتبر " حدّا فاصلا في تاريخ البحر المتوسّط ذلك أنّ "فنسطائر" كان يرمي إلى تحطيم قوة المسلمين البحرية في مهدها، ولو أنّه وفق في ذلك لظلّت سيادة البحر المتوسّط و حوضه الشرقي على الأقّل بيد البيزنطيين دون المسلمين " [1]

غير أنّ معاوية لم يفد من هذا النصر الذي أحرزه في متابعة الغزو البحري، فقد شغل المطالبة بدم عثمان سنة 35هـ، ومناوءة على ابن أبي طالب من أجل الظفر بالخلافة، عن مواجهة البيزنطيين، امّا هؤلاء فقد اغتنموا ذلك لتدعيم جبهتهم، ثمّ وجّهوا هجوما عاتيا على سواحل الشام في سنة 49هـ، ويبدوا أنّ البيزنطيين سببوا بهذا الهجوم خسائر كبيرة للمسلمين حملت معاوية على إقامة دار لصناعة الأسطول في عكا لتفتح له سفنا بدلا من الإعتماد على دار صناعة مصر وحدها، فأمر " يجمع الصناع و النجارين، فجمعوا ورتبهم على السواحل، وكانت الصناعة في الأردن بعكا "وظلّت عكا دار الصناعة في الشام إلى أن نقلت في زمن بني مروان إلى صور[2] .

ولم يكن للعرب معرفة في الملاحة، فاستخدموا ا أولا من كان في حوزتهم من الروم، وفيهم أهل الصناعة و النواتية، فأنشأوا لهم السفن و الشواني وشحنوها بالرجال و السلاح، وأركبوها العساكر و المقاتلة لغزو وراء البحر، وسمو مجمع السفن أسطولا، وهو لفظ يوناني (Stolos) عربو وجعلة مقر أساطيلهم بحر الرّوم خاصّة، واشترك في ملاحة البحر منهم أهل الشام و إفريقية و الاندلس و أنشأوا دور الصّناعة (الترسانة) في تلك البلاد لبناء السفن و إعداد معدّاتها، وأوّل دار للصناعة في الإسلام بنيت في تونس على عهد بن الملك بن مروان، فأمر عامله على إفريقية " حسّان بن النعمان " بذلك ففعل، وانشأ السفن وجهّزها بالعدّة و السلاح([3])، حيث كان " حسّان " من القادة العظام، ذوي الكفاية العسكرية و الأدارية، وفاتحا من الطّراز الأوّل، ولقد أدرك أنّ استعادة " قرطاجنة " لا يمنع

---

[1] السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس**، المرجع السابق، ص18.

[2] البلاذري ، نفسه، ص140.

[3] جرجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، ص217.

الرّوم من الإغارة عليها بحرا ...، وفتحها، لذا عمل على إنشاء ميناء جديد يكون قاعدة حربية بحرية للأسطول الإسلامي .

وأخذ يبحث عن مكان مناسب، فوجد إلى جنوب " قرطاجنة " بلدا قديما يطل على سبحة فسيحة لا يفصلها عن البحر غير برزخ صغير، فاسترعى هذا الموقع انتباهه [1].

كان هذا البلد القديم ميناء يونانية قديمة، فأصبحت قبل الإسلام قرية صغيرة تدعى

" ترشيش " [2] وهي على سفح جبل، وعلى ربوة يحيط بها خندق طبيعي هو كالحصن لها و السور الذي يمنع الأعداء عنها[3] .

ولتكون مستقرا للأسطول العربي الإسلامي تنطلق منها في حالتي الدفاع و الهجوم، فيغيّر بهذا الأسطول على ساحل الروم فيشغلهم بأنفسهم عن الإغارة على إفريقية، وكان يسكنها البربر

و الرّوم، وفي شرقيها بحيرة جميلة تلطف جوّها وتزيد في سحرها و جمالها، وحواليها سهول للزّراعة، وقد نزل حسّان بجسينة في حصاره لقرطاجنة فأعجب بمناعة موقعها و جمال مكانها .

ولم يلبث حسّان أن وقع اختياره على (ترشيش فبدأ يخطّط المدينة من جديد ويبدوا أنّ المدينة اليونانية (ترشيش كان قد اضمحلّ أمرها حين بدأ المسلمون يعيدون بناءها ولم يبق منها إلّا دبر يقيم فيه بعض الرهبان، فقد كان العرب يسمعون أصوات بعض الرّهبان فيتأنسون بهم فقالوا هذه البقعة تؤنس[4]، وقيل :إنّ المسلمين سمّوها تونس لجمالها ولما تدخله من الانس و البهجة على القلوب .

وكان على حسان أن يبدأ بحفر البرزخ الذي يفصل البحيرة عن البحر و أن يحفر في ماء البحيرة قناة عميقة تسير فيها السفن حتى تصل على البلد، وبهذا تتصل البحيرة بالبحر، وتصبح

---

(1) محمود شبيت خطاب، **قادة الفتح الإسلامي المغرب العربي**، ج1، دار الفكر، ص201.

(2) ترشيش ؛اسم مدينة تونس التي بإفريقية وهي على متن من قرطاجة، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المصدر السابق، ص60.

(3) ابو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن احمد التيجاني، **رحلة التيجاني**، تق المرحوم العلامة حسن الحسيني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص23.

(4) ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، سنة 1286، ص8.

تونس ميناء بحرية تحميها البحرية الواسعة من أمواج البحر ثمّ يعقب ذلك بإنشاء ميناء بحرية (دار صناعة) للبلد الجديد حتى تستطيع السفن أن ترسوا فيها وتقلع منها في أمان، فخرق حسان البحر إلى تونس وأراد حسان أن يستعين بنفر من أهل مصر في إنشاء الميناء فأرسل إلى عبد الملك بن مروان بطلب إليه نفرا ممن لهم خبرة بإنشاء دور الصناعات و بناء السفن، فكتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز وهو والي مصر، أ، يوجّه إلى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده، وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا ترشيش وهي تونس، وكتب إلى حسّان أن يبني لخم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر الدّهر، وأن يصنع بها المراكب ويجاهد الروم في البر و البحر وأن يغيّر منها على ساحل الرّوم فيشتغلوا عن القيروان نظرا للمسلمين وتحصينا لشأنهم، فوصل القبط إلى حسّان وهو مقيم بتونس[1] ، فأجرّ البحر من مرسى (رادس إلى دار الصناعة، وجرّ البربر الخشب، وجعل فيها المراكب الكثيرة، وأمر القيط بعمارتها، وأصبحت تونس رباطًا يحمل القيروان و محرسًا بحريا وميناء جديدة للبلاد يقوم مقام "قرطاجنة" [2] .

وميناء رئيسية تأوي إليها السفن في فصل الشّتاء وتحتمي في مرساها عندما تهبّ العواصف و الأنواء، ودار صناعة تنتج للمسلمين السفن و الآلات، وقد لهذه المدينة أن تصبح أعظم ثغور إفريقية بعد ذلك ثبلثين عامًا على يدي عبيد الله بن الحبحاب (116-122هـ)وثغرا الجهاد البحري و الغزو[3] .

-مهد موسى بجهاده في البحر بالاهتمام بعمران (مدينة تونس) وتوسيع دار الصناعة بها، وشق القناة التي توصل بين ميناء (رادس) [4] وبين المدينة على طول اثنى عشرا ميلا حتى أقحمه دار الصناعة فصارت شتى المراكب إذا هبت الرياح، ثم أمر بصناعة مائة مركب، وامر موسى بالتأهب بركوب البحر و اعلمهم انه راكب بنفسه فرغب الناس وتسارعوا فلم يبق شريف ممن كان معه إلا وقد ركب الفلك، ففقد موسى لواء هذه الغزوة لابن عبد الله بن موسى بن نصير وولاه عليهم وأمره، ثم أمره أن

---

(1) البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب جزء بني المسالك و الممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص38.

(2) مُحَمَّد علي قطب ' **من ابطال الفتح**، دار الدعوة لنشر،ص45.

(3) السيد عبد العزيز سالم احمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس**، المرجع السابق، ص33.

(4) رادس البحر الذي على ساحل تونس بإفريقية يقال له : رادس وبذلك سمي مينائها ورادس اسم موضع كالقرية، انظر التفاصيل في معجم البلدان ج4، ص ص203-204.

يتوجه إلى هدفه وإنما أراد موسى لما أشار من مسيرة أن يركب أهل الشر ف وسميت هذه الغزوة بغزوة الاشراف وسار عبد الله بن موسى في مراكبه، وكانت تلك الغزوة أول غزوة غزيت في بحر إفريقية [1] .

([1]) محمود شيت الخطاب، **قادةالفتح الاسلامي في المغرب العربي**، المرجع السابق، ، ص238

المبحث الثاني

المبحث الثاني: أنواع السفن و معداتها وقواعدها

1/أنواع السفن

2/معدات السفن

3/قواعدها

أنواع السفن في حوض البحر المتوسط :

1-الشّواني : أو الشواني الحربية جمع شونة أو شيني وهي أهم القطع التي كان يتألف منها الأسطول في الدّولة الإسلامية و في الدّولة الرومانية و اعظمها شأنا فيه، وهي أجفان (مراكب) حربية كبيرة كانوا يقيمون فيها ابراجًا وقلاعًا للدفاع و الهجوم و الشيني أيضًا مراكب حربية لحمل المقاتلة للجهاد .وكان متوسط الشيني الواحد من الرجال يقرب من مائة وخمسين رجلًا .

وقال الأستاذ كاترميد نقلا عن مخطوط عربي " أمّا الشيني وسمي الغراب فإنّه يجذف بمائة مجذاف وفيه المقاتلة و الحذافون " وظلّ اسم الشيني معروفا حتى أيّام الدولة العثمانية فكان يطلق فيها على نوع من أهمّ السفن الحربية [1] .

2-الحراريق : جمع حرّاقة وهي مراكبْ حربية كبيرة كانوا يحملون فيها مكاحِل البارود و العرادات و المنجيفات يرمي بها النفط المشتعل على الأعداء فلهذا كانت تسمى كما في قاموس دوزي " حراقة نفط أو حراقة بارود "[(2)] .

وَ الحراقة أقلّ من الشونة حجمًا وتمتاز الحراقة بالمنجنيقات كما تمتاز الشونة بالقلاع، و أضاف "السبتاني" وهي نوع من السفن الحربية كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية و كان بها مرام تلقى منها النيران على العدو .وتفيد النصوص التاريخية المختلفة بأنّ هذا النوع من السفن الحربية كان يستعمل بكثرة في مياه البحر الأبيض المتوسّط وفي نهر النيل إبان الحروب الصليبية وقد ذكر " البقانوني" أنّ الحراقات كانت من بين قطع أسطول المسلمين الذي يعمل في غرب البحر الأبيض المتوسّط بالأندلس[(3)].

---

[1] **أنظر ملحق رقم 01**.ص64.

[(2)] عبد الفتاح عبادة، **سفن الأسطول الإسلامي وأنوعها ومعداتها في الإسلام**، مطبعة الهلال بالفجانة، مصر، 1913، ص 45.

[(3)] **انظر الملحق رقم 02**،ص65.

3–جارية: الجارية: السفينة، و الجمع جوار[1] قال "ابن منطور" : وَ الجارية : السفينة، صفة عالبة و في التنزيل : (حملناكم في الجارية) [2]وَ فيه :"وله الجوار المنشات في البحر "[3]وقوله – عزّ وجلّ: (بسم الله مجراها وَ مرساها)[4] هما مصدران من : أجريت السفينة و أُرسيت " وقال " ابن منظور" أيضًا في مادّة " قلع" وَ الجواري السفن و المراكبْ "[5]

4–جلاسة : نوع من السفن الحربية الكبيرة سَير بالشراع و المجاذيف، وهي أثقل و أقوى من " الشيني"، كانت شائعة الإستعمال في البحر الأبيض المتوسّط حتى القرن الثامن عشر الميلادي، وهي بالفرنسية Galéace أو Galéasse، ويقابلها في الإيطالية Galeazzaومرادفها في الإنجليزية قريب من هذا Galleass.[6]

ذكرها "المقريزي" عند كلامه على حوادث الحملة الصليبية الخامسة فقال : " فحاربوا المسلمون الفرنج وأخذوا منهم ست شواني و جلاسة وبطسة و أسروا من الفرنج ألفين ومائتين ..الخ[7]

زيزب: جمعها زَيَازِب وهي من المراكبْ التي يمكن للرجال أن يقاتلوا على ظهرها، هذا ومن الجدير بالذكر بأنّها نماذج السفن التي استخدمت في البحر الابيض المتوسّط كانت ترتبط سوبًّا بالمسامير، أمّا في المحيط الهندي فتخاط مع بعضها البعض، وكانت سفن البحر المتوسّط أكبر من سفن البحر الأحمر و المحيط الهندي[8].

([1]) درويش النخيلي، **السفن الإسلامية على حروف المعجم**، المرجع السابق، ص21

([2]) سورة الحاقة، الآية 11.

([3]) سورة (الرحمن)، الآية 24.

([4]) سورة (هود) الآية 41.

([5]) نفسه، ص21.

([6]) المقريزي، **سلوك لمعرفة دول الملوك**، نشد مُحَمَّد مصطفى زيادة، ج1، القاهرة 1934 م، ص202 .

([7])درويش النخيلي، **السفن الاسلامية على حروف المعجم**، المرجع السابق، ص 27.

([8])المسعودي، **مروح الذهب ومعادن الجوهر**، ج1، تحقيق الاستاذ محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1958.ص365.

5-الأغربة: جمع غراب وهي من أقدم أنواع السفن الحربية كانت معروفة عند القرطاجيين و الرومان وغيرهم ولم تزل معروفة حتى أيّام الدّولة العثمانية ولم يتغيّر شكلها فكانت تسمى فيها بالغراب أو (القدرعة) وكانت من أشهر سفنها الحربية.

ويظهر أنّ اسمها مأخوذ من اسم الغراب لانّ القدماء كانوا يصنعون بعض سفنهم على أشكال الطّيور فيجعلون رأس السفينة أو مقدّمتها على شكل رأس الغراب او شكل طير من الطّيور تفاؤلًا أو إشارة إلى أنّه في الماء كالطّيور في السّماء.

6-**الحمالات** : جمع حمّالة و عي المراكبْ الحربية الحمالة برسم الأزواد للرّجال ويكون فيها غلامان الخيالة و صناع المراكب، وغير ذلك من السفن الحربية التي تحمل آلات الحرب و الحصار من الأخشاب للكبار و الدبابات و ابراج الزحف وغير ذلك[1] .

7-القرقور: ضرب من السفن، وقيل : هي السفينة العظيمة او الطويلة و القرقور من أطول السفن، وجمعه قراقير، وفي الحديث : "فإذا دخل أهل الجنّة ركب شهداء البحر في قراقير من درّ"[2]

وهي التي كانت تستعمل في تموين الأسطول بالزاد و المتاع و الذخيرة منها ما كان بثلاثة ظهور و بثلاثة قلاع لا تخشى معها الرّياح العاصفة [3].

8-القادس: يقول ابن سيده القادس: لوح من الواح السفينة، وقيل هي السفينة، وجاء في معظم المراجع العربية، هي السفينة الكبيرة أو العظيمة ويقول دوزي، القادس : سفينة بجدّية كبيرة تشبه البارجة[4].

9-**بركوس وباركوس:** و الجمع : براكيس نوع من السفن التي كانت تستعمل في الحروب بين الشرق و الغرب في مياه البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى، وهو أصغر حجما من

" البطسة " [1] عرف به " ابن شدّاد " خلال كلامه على القتال الدّائ حول عكا في شهر ذي الحجة سنة 586هـ فقال : " وقالتا للسلطان : نحن نخوض البحر في براكيس ... وهو المركب الصغير

---

[1] عبد الفتاح عبادة ، **سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الاسلام**، المرجع السابق، ص7.

[2] جواد علي، المرجع السابق، ص249.

[3] وفيق بركات، ، المرجع السابق، ص151.

[4] سعاد ماهر، **البحرية في مصر الاسلامية واثارها الباقية**، دار الكاتب العربي، للطباعة ونشر، 1967. ص362.

" [2] و أورد " أبو شامة " نفس التفسير في قوله : " خافوا جماعة ممن كانوا في البلد، فأخذوا اللهم بركوسا، وهو مركب صغير[3] ."

10–بو ي : و الجمع بواصي نوع من السفن عربي قديم، ويعرف البوصى بانّه الزورق و العدولى وقد يعني السفينة على أنّه ضرب من سفن البحر، معرب " بورَى "، بالفارسية [4].

وقد ذكره " دوزى " بلفظ " بوصى"، وفسره بأنّه نوع ضخم جدّا المراكب ذي ثلاثة أشرعة ، والنسبة إليه " بوصى" وهو الدجرى ويجمعه على أبواص وذكر "ناصر خسرو "هذا النوع من السفن في رحلته إلى العراق، فقال : " ...وفي السابع عشر من شوال 443هـ (22 فبراير 1052) ركبا سفينة وذلك في نهر العراق كبيرة تسمى بوصى[5] .

11–نقيرة : و الجمع نقائر وضعها " النوبري السكندري " في قائمة السفن المستعملة في البحر الابيض المتوسط كإحدى القطع الحربية الصغيرة المساعدة وواحدة من السفن التي كانت تستعمل – في الوقت نفسه – لنقل المتاجر، فهويقول في آخر قائمة هذه السفن – : " ...و المراكب المعروفة بالنقائر تنتفع في البحر المالح لقتال المسلمين فيها للفرنج .

فهذه مراكب البحر الرومى التي يسافر في بعضها الفرنج و الشاميين ببضائعهم إلى سواحل الشام مثل طرابلس وصيدا و بيروت وغيرها ...الخ [6].

وقد عرف "برجرن Berggren" بالنقيرة فقال : " هي نوع من المراكب الصغيرة التي تستعمل في نقل المسافرين و المتاجر من الإسكندرية ألى الموانئ الأخرى المجاورة .

---

[1] درويش النخيلي، المرجع السابق، ص12-13.

[2] ابن شداد، **النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط1، القاهرة، 1964 م، ص154.

[3] أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية ، مطبعة وادي النيل، القاهرة، 1287 هـ - 1288هـ، ص107.

[4] الخفاجي، **شفاء الغليل فيما يفي كلام العرب من الدخيل**، تح، الدكتور مُحَمَّد كشاش، ط1دار ، الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1998م، ص83.

[5] درويش النخيلي، المرجع السابق، ص17.

[6] ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، تحقيق حسين نصار، ج4، نشر مكنية، مصر : القاهرة ، وطبعة وليم رايت، ص66.

نيلية: يطلق لفظ المراكب النيلية، أو مراكب النيل كتسمية عامّة على جميع السفن، الصغيرة و الكبيرة التي تسير في النيل لنقل التجارة أو المسافرين، قال فيها " المقريزي" : "وامّا المراكب النيلية فإنّها تنشأ لتمرّ في النيل، صاعدة إلى أعلى الصعيد، ومنحدرة إلى أسفل الأرض لحمل الغلال و غيرها[1] .

12–أسطول : أسطول وقد يرسم في المصارف العربية، أسطول أو صطول و الجمع أساطيل كلمة يونانية الأصل و تطلق في اللّغة العربية على المراكب الحربية مجتمعة او على السفينة الواحدة وقد يقال : المراكب الأسطولية، وممّا يفيد أنّه يدلّ على مجموعة من السفن الحربية، قول " المسعودي : " و الأسطول كلمة رومية سمة للمراكب الحربية المجتمعة و قول " الخفاجي"

الأسطول : السفن التي يسافر فيها للقتال [2].

13–الطرائد: جمع طريدة (وذلك خلاف الطراد وجمعه طرادات و الطرائد هي السفن الخصوصية لحمل الخيل للأسطول وفي المخطوط العربي المحفوظ بالفاتيكان : " أمّا الطريدة فإنّها برسم حمل الخيل و أكثرها يحمل فيها أربعون فرسًا " وقد أخذ الإفرنج هذا الاسم فقال الاسبان tarida و قال الطليان tartana وقال الفرنسيون tartan ولكن للدلالة على سفائنها الشراعية التي تمخر في البحر الأبيض المتوسط غربا " [3] .

14–الشباك أو الشباك (chebec) : مركب حربي صغير الحجم استخدم في البحر الأبيض المتوسط .

15–الشذاوة: أو الشذاة (جمعها الشذوات أو الشذا) وهو ضرب من السفن التي كانت تستعمل في الحروب في عهد الدّولة العباسية لنقل آلات الحرب و السلاح و المقاتلة و الملاحين

و الرماة وكان بها حوالي أربعين مجدافا .

16–الشُميرية أو الشيارة : (جمعها شميرات أو شيارات) : وهو نوع من السفن عرف في أواخر القرن الثالث للهجرة، وكان في كلّ شميرية مقاتلان ومع ملاحها السيوف الرماح و التراس ولما انقطعت الحروب البحرية في أواخر الدولة العباسية صاروا يستكملونها في التجارة و الاسفار .

---

[1] المقريزي، **كتاب المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار**، وطبولات، القاهرة، ص1270.

[2] الخفاجي ، المصدر السابق، ص78.

[3] عبد الفتاح عبادة، ، المرجع السابق، ص6.

وهناك أسماء مراكب أخرى كثيرة عرف منها في المغرب في عصر الأغالبة وعرفها الفاطميون بحكم نشأة دولتهم في المغرب و بحكم انتقال تراث البحرية الأغلبية إليهم من هذه المراكب النواشئ و الفتاش وهنالك أسماء مراكب معروفة في مصر الأيوبية مثل الأعذارى وهو مركب صغير يحمل الأزوار و الركوش (لنقل مياه الشرب)[1] .

وجدير بالذكر أن السفن العربية بالبحر الرومي كانت تختلف عن السفن المستعملة في البحر الهندي من عدّة وجوه، يقول ابن جبير أنّ السفن ذات الذفتين لم تكن موجودة في غير البحر الأبيض المتوسط كما أنّه شاع في هذه السفن الشراع المربع وهو الذّي ابتكره المصريون القدماء، ويعدد النوري السكندري من صنوف السفن في بحر الروم : القزاقير و الزوارق و الطرايد و الغربان و الشواني و العشاريات ولكل منها مكانة في البحر ونقل الجيوش و الخيول و البضائع و مستلزمات الجند، ومن هذه السفن ما كان من ثلاثة طوابق و لها ثلاثة قلاع، امّا الغربان فكانت تحمل الغزاة وسيرها بالقلع و المجادين ومنها ماله 180 مجدافا .

أمّا سفن البحر الأحمر فكانت تسع بالشراع المثلث وتخاط بالليف أو بخيوط من قشر جوز الهند ولا تستعمل فيها المسامير، ومنها ما كانت ألواحه من عيدان النخل وكانت تطلى بالشحوم و النورة وذكر أبو زيد السيرافي في القرن 10 م أن شحم الحوت كان يستخدم في طلاء المراكب كما كانت فقرات عضامه تستخدم مقاعد للجلوس وضلوعه لتسقيف المنازل وفي ذلك يقول : " وسمعت أنه توقّع في قديم الأيّام إلى قرب سيراف من (الحوت) واحدة فقصدت للنظر إليها فوجدت قوما يصعدون على ظهرها بسلم لطيف، والصيادون إذا أظفروا بها طرحوها في الشمس وقطّعوا لحمها، وحفروا لها حفرا يتجمع فيها الودك (الدّهن) ويعرف الوذك من عينها بالحرارة إذا أذابتها الشمس فيجمع ويباع على أرباب المراكب، ويسد بها خرزها ويسد أيضا ما يتفق من خرزها، ويرى ابن جبير أنّ دهن القرش أفضل من دهن الحوت في هذه العملية [2] .

وكانت سفن البحر المتوسط أكبر من سفن البحر الأحمر و المحيط الهندي [3].

---

[1] وفيق بركات، المرجع السابق،ص ص154-160.

[2] أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، عالم المعرفة – العدد 13، ص72.

[3] وفيق بركات، ص157.

كان معاوية أوّل من غزا بجزيرة صقلية إذ بعثت إليها عبد الله بن فاصاب أصناما من ذهب وفضّة مكلّلة بجوهر، وقد وجّه معاوية حبشية هذا في مائتي مركّب وكان ذلك ست وثلاثين هجرية وفي سنة تسع واربعين الهجرية وجه معاوية عقبة بن نافع الفهري في البحر لغزو الروم باهل مصر .

معدات السفن .نذكر منها على سبيل المثال

1/المجاذيف: وهي الاجزاء الهامة في السفينة .لذا فان ترتيب المجاذيف وضعها في صفوف المناسبة كان من اهم المسائل التي يعنى بها في بناء السفن .ويعتبر البحر الابيض المتوسط من البحار الهادئة التي تستطيع السفن الشراعية ان تسكنها دون ان تزعجها الرياح او الاموج الهائجة .واصبحت المجاذيف الالة المميزة للملاحة في هذا البحر وبما ان شعوب البحر المتوسط سكنت غربا اروبا كذالك فقد اخذت عنها شعوب شمال اروبا نماذج السفن على الرغم من قسوة الرياح بالنسبة لشراع وهياج الامواج بالنسبة للمجاذيف ولكن سرعان ماادخل سكان غرب اروبا انواعا من السفن الشراعية اختراعوها للملاحة في المحيطات .وهكذا حل الشراع محل المجاذيف.وان لم يختفي المجداف .فاستمرت السفن ذات الاحجام الكبيرة نسبيا في استعماله في البحر الابيض المتوسط فقط .الى ما قبل استعمال البخار بدل من الشراع .ولعل سبب في ذالك وفرة العبيد الذين يقومون بعملية التجذيف .ولكن ليس معنى هذا ان المجفين فيي السفن كانوا جميعا من العبيد في العصور القديمة .ولقد نشا فن التجذيف في نهر النيل فقد عثر على نفس المراكب لتجذيف الاثار المصرية ترجع الى سنة 2500ق.م وكذالك عثر على المجاذيف في المراكب الجنائزية للملك خوفو التي عثر عليها خلف الهرم الاكبر سنة 1954م ونرى في النقش على السفن البحر الابيض المتوسط تحتوي على عشرين مجذافا[1].

2/الشرع :وهو قلب السفينة النابض فعليها يقع العبئ الكبير فكانت تصنع من خليط التيل المكون من خيط من الالياف البردى واعشاب والياف الكتان وكانت انواع الاقمشة والمنسوجات المستعملة في الشراع مختلفة الجودة والاسعار.وكانت الشراع التي تحمل اللون الاسود هي علامة الحزن واللون الاحمر اوالارجواني تستعمل فقط لسفينة امير البحار او الحاكم اما السفن الكشفية التي تستعمل وقت

([1])سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 208-212. انظر الملحق رقم03 ص 66.

الحروب فكان شرعها تصنع بلون ماء البحر حتى لاتظهر للعدو كما كان يكتب عليها كتابات وشارات ورموز خاصة[1].

3/الزخارف :كانت تزخرف في مقدمتها فكتنت المقدمة تنحت على شكل رؤوس حيوانية كما هو الحال في العصر الفرعوني .كما وجدت مقدمات منحوتة على روؤس ادمية كما هو الحال في مقدمة السفن التي اشتركت في معركة اكتيوم سنة 31هـ الملحق رقم5 ص 79 وكانت السفن المصرية في العصر الفرعوني تنحت على مقدمتها على شكل تمساح رمزا لنهر النيل على اعتبار انه ابرز مظاهر الطبيعة في مصر ونجد السفن الرومانية تنقش تمثال فرجينيا وسفن قرطاجة على شكل تمثال امون واحيانا تحتوي على تمثالين في المقدمة وكذالك تزخرف في المؤخرالسفينة .فمثلا السفن الفرعونية كان ينقش عليها زهرة اللوتس او اوراق اشجار البردى او مراوح نخيلية وكثيرا مانجد فتحة على جوانب السفينة على شكل عين .على ان الزخارف لم تلعب دورا هاما في صناعة السفن وان كانت لها اهمية كبيرة من الناحية المعنوية عند البحارة ([2]).

4/المجانيق: تعتبر المانيق من اعظم الالات الحربية القديمة واشد تاثيرا ولاسيما في عمليات الحصار ولايمكن الاستغناء عنها في البر([3]).

قواعدها:

-تدلّ الوثائق التاريخية المنشورة أنّ قادة البحرية الإسلامية عرفوا القواعد البحرية في العصور الغابرة، فالقاعدة البحرية الحربية في التعريف الحديث هي: "منطقة مجهزة ومدافع عنها من الشاطئ و الجزء التابع لها من سطح الماء ونقاط تمركز السفن الموجودة في حدودها و القنوات و الوسائط و المنشآت التي تؤمن نشاطها و الدّفاع عن المنطقة ونجد ذلك واضحًا وموجزًا في مقدمة التعليمات الرسمية التي أصدرها الخليفة العباسي إلى أحد أمراء البحر (320هـ /932م) "هذا عهد أمير المؤمنين إلى ...(فلان) حين ولاه الثغر الفلاني وبحره ومراكبه أي القاعدة نفسها بكلّ ما تحتويه على اليابسة و الجزء التابع من البحر (سطح الماء) و السفن التابعة لها .

([1])سعاد ماهر، المرجع نفسه، ص213-216 **انظر الملحق رقم04 ص 67**.

([2]) نفسه، ص 217.. **انظر الملحق رقم05 ص68**.

([3]، ا نفسه، ص218. **انظر الملحق رقم06 ص69**.

أدرك القادة العرب وقادة البحرية العربية الإسلامية في وقت مبر ان توفير قواعد بحرية آمنة ودور صناعة كاملة وخدمة ممتازة (كجزء من التنظيم البحري) هو عجب الحياة لأية قوة بحرية تبغي العزة و المجد و اتجهت أنظار السلطات العربية الإسلامية أوّلا في بلاد الشام و مصر ثم بلاد المغرب و الأندلس إلى تدعيم القواعد البحرية القديمة الموجودة بها منذ عهد البيزنطيين، [1] وإنشاء قواعد أخرى جديدة تغرز من نشاطها أساطيلها وتهيئ لها أسباب السلامة و الفوز وكانت لدى العرب على امتداد شواطئ البحر الأبيض المتوسط التابعة لهم قواعد بحرية على ذكرها فيب التاريخ القديم و أسهمت بنصيب وافر في خدمة القوى العظمى التي شاهدها هذا البحر([2]) .

وقد أطلق العرب أسماء عدّة على المصانع البحرية، فقد عرفت في اوائل العصر الإسلامي باسم (دور الصناعة) دون تخصص على صناعة السفن ليدلّ دلالة واضحةعلى مدى اهتمام الدولة الإسلامية بالقوى البحرية، وإذا فقد أصبحت الصناعة لديها، تعني في المقام الأوّل صناعة السفن و الأساطيل ولما اتصل الفرنج بالعرب عن طريق الأندلس في المغرب و في الحروب الصليبية في الشرق، وتاثروا بمدينتهم إقتسوا عنهم فيما اقتبسوه من هذه الألفاظ، هذا اللّفظ فقال الإستبيان (Darcimah) واخذتها عنهم سائر اللّغات الأوروبية فتقلبت بالنحت حتى صارت (Arsenal) ثمّ عاد العرب فاخذوها عن الإسبان (Tarsamah) وظنوها تركية فعربوها إلى (ترس خانة)

أو ترسانة ([3])ويضيف جرجي زيدان فيقول، أنّ لفظ "أدميرال " (Admiral) أخذ عن "أمير البحار" العربية ([4]) ويرى ابن خلدون أنّ العرب اعتمدوا في أوّل أمرهم على أبناء الأمم التي خضعت لسلطانهم ممن كانت لهم دراية بالبحر وثقافته في بناء السفن و الأساطيل

وقد كانت مصر بطبيعة الحال من أولى تلك الأمم فمن المعروف أن أكبر صناعات مدينة الإسكندرية قبيل الفتح، كانت صناعة بناء السفن إذ كانت الإسكندرية أكبر أسواق العالم، وأكثر ثغولاه ازدحاما وحركة التجارة الواردة إليها من البحر الأحمر عن طريق القلزم(السويس) منها تحمل في نزعه تراجان

---

[1] وفيق بركات ، المرجع السابق، ص168-169.

([2]) وفيق بركات، المرجع السابق، ص168-169.

([3]) سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 311.

([4]) جرجي زيدان ، المرجع السابق، ص121.

إلى مدينة منف على نهر النيل ومن منف تنحدر بها السفن في النيل إلى ميناء الإسكندرية حيث كانت تصدر إلى جميع موانئ البحر الأبيض المتوسط ([1]).

ومثل هذه التجارة العظيمة لابد لها من عدد كبير من السفن .

ولما كانت مصر خلو من موارد الخشب الذي يصلح لصناعة السفن، فقد كانت تستورده من بلاد الشام وغيرها من البلدان المنتجة لهذا النوع من الخشب، ثم تقوم بصناعته في مدينة الإسكندرية، وفضلا عن ذلك فإنّ مصر تنبت نوعا من الكتان تصلح أليافه صلاحية تامّة لعمل الحبال وأدوات السفن، فقد قال ابن الفقيه " ومن عجائب مصر نوع من الكتان اسمه (الدقس) كانت تصبغ من حبال السفن وكانت تسمى (القرقس) ويصف سيبوس في تاريخه إحدى السفن التجارية التي صنعت في الإسكندرية فيقول " إنّها كانت تحمل عشرين ألف مد(4000 اردب) و يعلق بتلر على حمولة هذه السفينة كانت قدة، مما يدل على أنّ صناعة مثل هذه السفن ذات الحمولة الكبيرة كانت شيئا عاديا بالنسبة للسفن التي كانت تصنعها مدينة الإسكندرية .

وإلى جانب السفن و الاسطول التجاري، كانت مصر تصنع كذلك السفن الحربيو لها و للدولة البيزنطية وقد ترك (Sebeos) وصفا مسهبا على جانب الأهمية للسفن المصرية التي أرسلت لغزو بيزنطة في عهد معاوية جاء عدد السفن الكبرى ثلثمائة، ويضيف سيبيوس فيقول " أنّ السفن كانت مزوّدة بآلات القذف التي تتكون من المجاذيف و آلات رمي الحجارة العالية التي تستعمل في تسور صنع الأسوار المحصنة ."

كان لانتصار الأسطول المصري في موقعه(ذات الصواري) سنة35هـ أكبر الأثر عند العرب في تأمين سلامة شواطئهم على البحر الأبيض المتوسط كما جعلتهم يدركون أنّهم قد أصبحوا قوّة بحرية لها خطرها، ومن ثم أصبح بناء دور لصناعة الأساطيل ضرورة لا مفرّ منها([2]) .

حيث كانت الإسكندرية مشيّدة بالمعدّات وفيها أحواض للسّفن ([3]).

([1]) سعاد ماهر، المرجع السابق، ص312.

([2]) سعاد ماهر، المرجع السابق،ص ص312-313.

([3]) عمر طرسون، **الجيش المصري البري و البحري**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1416هـ/1966م، ص77.

من هنا تمتّعت الإسكندرية بميزات طبيعية جعلتها أهم قاعدة للأسطول العربي في مياه البحر الأبيض المتوسّط ونقطة استراتيجية ينطلق منها للهجوم على جزر الرّوم وممتلكاتهم، ومنذ استيلاء العرب على مصر و الإسكندرية موضع اهتمامهم بسبب خروج أساطيلهم منها لغزو بلاد الروم، وقد كشفت أوراق البردي التي ترجع إلى ولاية قوة بن شريك على مصر (90هـ/708) عن الدّور الهام الذّي قامت به الإسكندرية في إغارات العرب البحرية وظهر إلى جوار الإسكندرية قواعد بحرية مصرية أخرى منها دمياط وتنيس و الفرما بور سعيد ([1])

وانشأت في مصر أوّل دار لصناعة السّفن في العصر الإسلامي سنة 54هـ في عهد واليها مسلمة بن مخلد من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وكان مقرها جزيرة الروضة، ولذا عرفت باسم " صناعة الروضة" وقد أدت كثرة الغزوات التي شنها الروم على الثغور المصرية في العصر العباسي إلى اهتمام الخلفاء " بصناعة الروضة" ففي سنة 238هـ /853م أقلعت سفن أسطول الروم على الشواطئ المصرية وصبت جام غضبها على مدينة دمياط ويقول المقريزي :" ولما كانت خلافة أمير المتوكل على الله، وأمير مصر يومئذ عسنبة بن إسحاق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين ومافيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء و الأطفال "ويضيف المقريزي " فوقع الإهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول وصار من أهم ما يعمل في مصر وأنشأت الشواني برسم الأسطول وجعلت الأرزاق لغزاة البحر، كما هي لغزاة البر وانتدب الأمر له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة، وانتخب له القواد العارفون لمحاربة العدو، وكان لا ينزل في رجال الأسطول كسلان أرجاهل بأمور الحرب([2]).

هذا وللنّاس إذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله وإقامة دينه الأجرم أنّه كان لخدام الأسطول حرمة ومكانة ولكلّ أحد من النّاس رغبة في أن يعدّ من حملتهم فيدعي بالوسائل حتى يستقر فيه '

ويفهم من العبارة التي أوردها المقريزي من انه " قد حصلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر " أنّه قد أصبح لمصر في العصر العباسي في القرن 3هـ جيش بحري ثابت وله رواتب ثابتة مثل الجيش البري كما أصبح لا ينصم إلى جنود الأسطول إلى المدربون العارفون بأمور الحرب وهذا يقتضي بطبيعة الحال تخصيص مبلغ ثابت للغنفاق على "دور الصناعة" وقد ساعدت الاحداث السياسية في مصر

([1]) وفيق بركات، المرجع السابق، ص170.

([2]) سعاد ماهر، المرجع السابق،ص ص313-314.

على الإهتمام بالأسطول ودور الصناعة فقد قامت فيها ولاية مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد استقلالا اسميا على يد أحمد بن طولون إلى دعم قوّته البحرية ليدفع عن نفسه وعن ولايته محاولات الخلافة العباسية استرداد نفوذها المطلق، ومن ثم اهتمم بشؤون أسطول مصر فجدّد بناء "دار صناعة الروضة" كما دب النشاط في القواعد البحرية في دمياط وتنس و الإسكندرية وقد وصف المقريزي الأسطول المصري في عهد هـ يقول "بني ابن طولون أسطولا يتألّف من مائة مركب حربية سوى ما يضاف إليهامن العلابيات و الحمائم و العشاريات و السنابيك و الزوارق و قوارب الخدمة ([1])."

قال ابن إياس "حدث أبو كامل شجاع بن أسلم الحاجب قال كما أطلق أحمد بن طولون الزمني دار الصناعة فدعاني يوما فقال لي : كل ما تعمل لي في العدة يكتفي فيه بالقليل، مع تقدّم هيبتي في صدور النّاس، إلّا المراكب...البحر لا يهابني ولا يخاف ثورتي وليس يعمل في البحر إلا الوثاقة و الجودة الضعة، وتقديم الإحسان فقدم الحزم في الإحتياط و الإستزادة و الإنفاق على المراكب فتسلم بعون الله عزّ وجلّ وتوفيقه من معرة البحر.

وفي منتصف القرن 4هـ عن مُحَمَّد بن طنج الأخشيدي سنة 373هـ سنة 937م بإنشاء المراكب الحربية فنقل جزءا من دار السفن من جزيرة الروضة إلى القسطاط في دار عرفت باسم " صناعة السفن " وغدت السفن الحربية و التجارية تصنع في دار صناعة مصر تارة وفي دار صناعة الجزيرة تارة أخ و كانت هذه الصناعة بساحل مصر القديمة، ويعمل موضعها بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون فقد رأى الأخشيدي من الوجهة العملية أنه يحول بينه وبين صناعة الروضة الماء، فاختار القسقاط مكانا لدار صناعة مصر ومازالت دار صناعة مصر عامرة حتى سنة 1300م حتى تحولت أرضها إلى بستان عرف ببستان ابن كيسان[2] ثم بستان الطواشي .

ويقول المقريزي : " وكان بهذه الصناعة ديوان العمائر، وقد أنشأ الوزير المأمون هذه المنظرة و الصناعة التي فيها ولم تزل إلى آخر الدولة ودهليزها ممدود بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني سبطا وتأزيرا " ويصنف المقريزي فيقول " قال ابن المأمون كانت جميع مراكب الأساطيل ما تنشأ إلا بصناعة التي بالجزيرة، فأنكر الوزير المأمون ذلك و أمر بأن يكون إنشاء الشواني وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف إليها بالصناعة دار الزبيب وأنشأ المنظرة بها وكتب عليه اسمه

([1]) سعاد ماهر، المرجع السابق، ص315.

([2]) المقريزي :**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار**، المصدر السابق، ص482.

وقصد بذلك أن يكون جول الخليفة يوم تقدمّه الأساطيل ورميها، بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الشواني و الشلنديات في الصناعة بالجزيرة "وقال ابن الطوير[1]" الخدمة في ديوان الجهاد، ويقال له ديوان العمائر وكان محله بصناعة الإنشا بمصر للأسطول عشاريا ويليها عشرون ديماسا منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها و لالمراكب الحام للغلات السلطانية و الأحطاب و غيرها وكانت تريد على خمسين ولكل منها رئيسي ونواتي لا يبرحون، ينفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات و الدواميس برسم ولاة برسم ولاة الأعمال المميزة فهي تحولهم وينفق في رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال الديوان "

وكانت محاولة الروم الاستيلاء على بيت المقدس دافعا قويا وسببا مباشرا في إنشاء الخليفة المعز لدين الله دار لصناعة السفن بالمقس بالإضافة إلى الدارين السابقتين بجزيرة الروضة و بالقسطاط([2])، " والمقس ضيعة كانت تعرف باسم أم دنين واقعة على ساحل النيل، وقد جعلها المعزّ مرفأت بصناعيا، وأنشأ بها الخليفة الحاكم جامع المقس وقد عرفت في أول المرأة باسم(المكس)([3]) لإقامة صاحب المكس و العشار بها ثمّ قلبت (الكاف) قاف فقيل المقس وقد وصفها المؤرخ المصري عز الملك المسبحي بقوله" إنّه بتى فيها ستمائة مركب وإنه لم يرى مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا" وقال في هذا المحسن ابن أبي طبي تاريخي عند ذكر وفاة المعز لدين الله" أنّه أنشأ دار الصناعة التي بالمقس وانشأ بها ستمائة مركب لم يرى مثلها في البحر على ميناء "

ويقول المقريزي " وكانوا يجعلون بإقلاع الأسطول إلى الغزو إحتفالا شائعا بحضره الخليفة فيجلس في منظرة معدة له على ساحل النيل بالمقس هو و الوزراء للوداع، ثمّ تجيئ القواد بالمراكب من مصر إلى هناك للحركات في البحر بين يديه وهي مزسنة بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيفات تلعب فتنحدر و تقلع بالمجاديف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر " ([4])وقد حدث سنة 996م أنّ أمرالخليفة العزيز بالله بجمع الأخشاب من سائر أنحاء البلاد ز بناء أسطول آخر.

([1]) المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار**، المصدر السابق، ص482.

(2) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المصدر السابق، ص122.

([3]) المكس ؛ هي الدراهم التي كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق .

([4]) المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار**، المصدر نفسه، ص368.

فلما انتقلت السلطة إلى صلاح الدين الأيوبي، خص الأسطول بكامل عنايته وأفرد له ديوانا خاصا أسماه "ديوان الأسطول" وأقر له ميزانية خاصة من خراج القيوم واعمالها وكثير من البلدان مثل بهتيم و الأميرية وأوسيهم ونص على رأس ونصب على رأس الديوان أخاه الملك العادل أبا بكر مُحَمَّد بن أيوب .

كذلك اهتم اهتماما بدور الصناعة الموجودة بالموانئ و الثغور التي تقع على البحر الأبيض المتوسط، وذلك لقربها من ميدان القتال في بلاد الشام .

ويقول ابن مماتي " أنّه كان بمصر حتى آخر القرن 6هـ ثلاث دور لصناعة السفن بمصر و الإسكندرية ودمياط.

وكانت صناعة العمائر فيها تنشئ المراكب ولها مستخدمون يستدعون لما يحتاج إليه، ويطلق لهم المال و الأصناف و يسترفع منهم الحسابات وفيها ما يباع من حطام وغيره ويضيف ابن مماتي " كذلك كانت هناك صناعة العمائر في ثغر الإسكندرية لها مستخدمون سيتدعون ما تحتاج إليه، ، ويقومون يتجهيز سفن الأسطول .

ولأهمية الإسكندرية فقد تعرضت كثيرا لغارات الأعداء وهجماتهم مما حمل أهلها على تحصينها برا ببناء الأسوار وبحرا بنصب الأبراج على مينائها وإقامة المآصر بينها، و المآصر هي سلاسل ضخمة من الحديد كانت تعترض الميناء فتحده من حقبة البحر، وكان يرسخ أحد أطرافها في صخرة مرتفعة مشرفة على جانب الميناء ويربط طرفها الآخر بقفل محكم الصنع، يوضع داخل برج مطل على الميناء من جهته الثانية ويجلس في البرج شخص يطلق عليه اسم (صاحب القفل) عنده الأمر و النهي في خروج السفن من الميناء ودخولها إليه، فيعمل على رفع السلسلة أو على خفضها، وكانت الضرائب و العشور تجبي عند هذه المآصر على كل مال أو طعام أو حيوان أو غير ذلك مما يدخل البلاد أو يخرج منها .([1])

ويقول المقريزي :" وكانت بميناء دمياط دار صناعة لإنشاء السفن يديرها أهل خبرة في هذا الفن" ويضيف عن سلسلة ثغر دمياط أيام صلاح الدين فيقول " إنّ برج دمياط كان برجا منيعا فيه

([1]) سعاد ماهر، المرجع السابق،ص ص316-317.

سلاسل من حديد غلاظ تمدّ على النيل لتمنع المراكب الواصلة في البحر المالح من الدخول إلى ديار مصر في النيل "

وهكذا نرى أنّه كان بمصر في العصر الإسلامي خمس دور لصناعة السفن و هي صناعة الروضة ، و صناعة مصر، و صناعة المقس، و صناعة الإسكندرية و صناعة دمياط([1]).

في بلاد الشام :

كانت سواحل أجناد الشام كثيرة ولكن صناعة المراكب كانت في صور وعكا و طرابلس([2]) و صور و بيروت و اللاذقية، تمتعت كلّها بالموقع الممتاز و الحصون القوية و أشاذ المؤرخون العرب بعظمة تلك القواعد البحرية وضخامتها .

و الاهتمام البالغ الذي أسبغته السلطات على تحصيناتها ومعاقلها .

ومن ذلك مارواه المقديس عن ميناء عكا الذي نال اهتمام الولاة و الحكام الذين تداولوا عرش الشام على مرّ العصور و الأحبال فقد كانت على أوّل ميناء حربي خرجت منه السفن العربية لغزو قبرص و القاعدة الكبرى لأسطول الشام[3]، وعكّة : اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل، فقال أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري : عكة مدينة حصنة كبيرة الجامع فيه غاية زيتون يقوم بسرجه، ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدّمها ابن طولون وكان قد رأى صورا واستقداره الحائط على مينائها فأحب أن يتّخذ لعكة مثل ذلك الميناء فجمع صناع الكور وعرض عليهم ذلك .أما قاعدة صور فكانت تنعم بتحصينات أقوى من عكا زمن ولاية أحمد بن طولون على مصر (وتبعية الشام له) الذي رغب أيضا بتقوية قاعدة عكا وبناء تحصينات لها على نحو ما تمتّعت به صور سبب اشتداد النشاط البحري ضدّ الرّوم إن ذاك وقد أدرك الخلفاء العباسيون خطر الغارات الصليبية فاحتفظوا بدار الصناعة التي أسسها الأمويون في صور لكن

([1]) المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر خطط و الاثار**، المصدر السابق، ص195. انظر الملحق رقم07 ص70.

([2]) مُحَمَّد كردعلي، المصدر السابق، ص40.

([3])وفيق بركات، المرجع السابق، ص16

الخليفة المتوكل نقلها إلى عكا عام 247هـ ولكي يحافظ ابن طولون على سيطرته على بلاد لاشام طور القاعدة البحرية في عكا و احاط الميناء بسور حجري ضخم .

وقد وزع الخليفة المتوكل (822هـ -861م) الأسطول و القوات البحرية بين مدن الساحل الشامي وهو يعرف حاليا (بالإنشار الاستراتيجي أو بالانشار العملياتي) ويقول المقدسي عن نقاط المراقبة التي كانت تقام إبان قدوم السفن لابيزنطية إنه حينما كانت تظهر سفسنة بيزنطية كان المسلمون يطلقون الأبواق و في الليل يضيؤون منارة في البرج، حين يعلقون دخانا كثيفا في النهار، وكانت توجد أبراج عالية بين نقاط المراقبة على طول الساحل وتحوس الأبراج مجموعة من الرجال يضيئون المنارة، وبذلك ينقلون الإشارة من برج إلى برج آخر، وقبل مضي ساعة تدوي الطبول في المدينة على حين تدق الطبول في الأبراج لاستدعاء المسؤولين عن نقاط المراقبة و يهرعون للخروج بأسلحتهم (وهذا النظام كامل للإنذار و الدفاع)

وبلغت تلك القواعد أوجح عزها في عهد الفاطميين حيث امتلأت صور وعكا وعسقلان بالسفن الحربية الكثيرة و المختلفة الأنواع.

واشتهرت قواعد الشام البحرية بقدرتها على استقبال عدد كبير من السفن، وبذلك وجدت الأساطيل العربية الإسلامية في قواعدها بالشام الطمأنينة وكافة أسباب القوة و اليأس فاستطاعت أن تخرج منها تباعا للهجوم على بلاد الروم و إعلاء شأن العرب وقد كشف المؤرخون عن منعه ثلث القواعد وقوة حصونها على خدمة نشاط الأساطيل العربية وتلبية المطالب الحربية[1].

في الأندلس:

كانت سواحل بلاد الأندلس المطلة على البحر الأبيض المتوسط حافلة بالقواعد البحرية الكثيرة ذات الطابع الفريد في نشاطها الحربي، فقد نشات على طول الساحل الشرقي للأندلس قواعد عامرة بالنشاط احتشدت فيها السفن االحربية وكذلك عدد من " المرابطيين" الذين كرسوا حياتهم للجهاد في سبيل الإسلام وكانت المنطقة الممتدة من لفتت و اكليله تضم أهم القواعد البحرية ومنها

[1].وفيق بركات،المرجع السابق، انظر الملحق رقم08.ص71.

أسكمبرة وهي على جزيرة في البحر في مدخل خليج قرطاجنة الاندلسي وتعرف المدينة الواقعة عليه باسم (قرطاجنة الخلفاء) ([1])

وأدرك عبد الرحمن أنه لابدّ من قوة بحرية تقف في وجه القوة البحرية العباسية ففي سنة 146هـ - 763م اتخذ عبد الرحمن بن معاوية دور الصناعة في مراكز طراكون، طرطوشةو قرطنجة و أشبيلة و المرية وغيرها.

ولقد حفزت الحكومة الأموية بقرطبة على زيادة الإهتمام بالبحرية عن طريق إنشاء دور لصناعة السفن لتزويد البلاد بأعداد وفيرة منها تأهبا لمواجهة الغارات المستقبلة، فأمر الأمير عبد الرحمن الأوسط بإنشاء دار الصناعة بأشبيلية وأنشأ المراكب أي أنّه استعان بالبحرين في إدارة أسطول قوي مزوّدة بالآلات التي اختصّت بصناعاتها جزيرة شلطبشي([2]) وقرمونة ([3])، وكان من أثر ذلك أن أصبح الحكومة قرطبة أسطول قوي وضخم يضم عدد كبير من السفن يقدر عددها بأكثر من ثلاثمائة سفينة([4]).

- **المرية :**
- يرجع الفضل الاعظم في إنشاء دار الصناعة بالمرية إلى الخليفة عبد الناصر أقامها بها عند قيامه بتأسيس المدينة وقد أشار العذرى أنّها كانت مقسمة إلى قسمين القسم الاول فيه المراكب الحربية و الآلة و العدة و القس الثاني كانت توجد فيه العيشارية وكانت دار الصناعة فيها تقوم بصناعة السفن و العدة و الآلات اللازمة لقيام هذخ الصناعة فكانت متوفرة في أرض المرية في مناطق متعددة بالأندلس، فأخشاب الصنوبر الازمة لصناعة الصواري و القرى المشهور بجودته وعدم تعرضه للتلف الناشئ من التسوس، وهو نوع من الأخشاب لا نظير له في الطول و الغلط، كانت تجلب من جبال طرطوشة أو من قصر أبي دانس أو شلطيش وبعضها كان يتوفر في يابسة قادس شلب وفي الجزائر الواقعة بإزاء تستمر به .

([1]) وفيق بركات، المرجع السابق، ص172.

([2]) الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، مطبعة باريس، ليدن، ط1، 1968ص179.

([3]) الحميري، **الروض المعطار في خبر الاقطار**، تح، احسان عباس، مؤسسة الناصر للثقافة، ط2، 1980م، ، ص159.

([4]) السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة مرية الاسلامية فاعدة أسطول الاندلس**، مؤسسة الشباب الجامعة للطباعة و النشر، الاسكندرية، ص36.

ومعدني الحديد و النحاس كات يتوافران في كثير من مدن الاندلس لاسيما في المرية التي اشتهرت بهما، وكان الحديد بكثير في طلطلة و غرناطة و الظاهران دار صناعة المرية اعتمدت في مراسي السفن على دار صناعة شلطيش التي تخصصت في هذه الصناعة[1] .

ولاشك في قيام تكامل صناعي بين مختلف ثغور الأندلس لسد حاجة الصناعة بكل منها إذا أفه من المستفيد ان يعتمد دار الصناعة المرية فقط على مواردها الذاتية من الموارد الخام لاسيما في الفترة التي كانت تابعة فيها الخلافة الأموية و الأمثلة كثيرة على تبادل المواد الخام بين المدن الاندلسية ةعضها وبعض فمثلا نجد أنّ الزفت و لاقطران كانيستخرج مذكورة حيان ويحمل منها إلى شلبة ثم إلى الجزيرة االخضراء لصناعة السفن في دار الصناعة بها ([2]).

طرطوشة:

يذكر القزويني ببأنّها مدينة برية و بحرية بمعنى انّها ذات خطة واسعة وانّ لها أيضا قرصنة على البحر تصلح لرسو اليفن مما يكسبها أهمية في مجال التجارة لابحرية .

وكانت تتمتع بميناء صالح لرسو السفن، وتتوفر بها أخشاب الصنوبر اللازمة لصناعتها .

ويتضح من إحدى الوثائق الإسبانية المسحية انّ دار صناعة طرطوشة كانت تقع على مقربة من النهر، وبجوارها كان يقع الحي المعروف بنفس الاسم أي جي دار الصناعة [3] ومن الملاحظ أنّ المصادر سواء التاريخية أو الجغرافية لا يرد بها إشارة إلى العصر الذي أسست فيه دار صناعة السفن بطرطوشة[4] غير ان اللوحة التذكارية لدار الصناعة مازالت محفوظة في الجدار الخارجي الشمالي من كاتدرائية طرطوشة، وتفيدنا بأن الخليفة عبد الرحمن الناصر هو الذي أمر ببناءها سنة333هـ/838م ونطالع في النقش النص التالي :" بسملة...أمر بإنشاء هذه الدار عدة الصناعة و المراكب عبد الله عبد الرحمن بن مُحَمَّد بعون الله ونصره في سنة ثلث و ثلثين وثلث مائة وكتب عبد الله بن كليب .

([1]) الحميري، المصدر السابق، ص110.

([2]) نفسه، ص111.

([3]) كمال السيد أبو المصطفى، **دراسات في تاريخ الحضارات المغرب و الأندلس**، الناشر، الاسكندرية، 1997، ص58-66-87.

([4])الادريسي، المصدر السابق، ص555.

ومن المرجع ان دار صناعة طرطوشة لم تكن قاصرة على إنشاء السفن بل كانت تقوم أيضا بإصلاح سفن الأسطول الأندلسي مما ساعد على قيام دار الصناعة بها وفرة الأخشاب صالحة لصناعة السفن لطولها وغلظها([1]).

بجاية :

يعتبر الناصر بن علتاس هو الذي أنشأ أول قاعدة بحرية حربية حمادية في مدينة بجاية عاصمته الثانية فعدة نواة لبناء قوة بحرية اعتبارا للدور البارز الذي لعبته في الحوض الغربي للمتوسط من خلال عمليات الغزو التي مارسها أسطولها خاصة في النصف الأول من القرن السادس الهجري، وتطلعت به إلى امتلاك إفريقية و عرش الزيريين نفسه.

وهو ما أشار إليه بشكل من الإعجاب مجمل الرحالة الذين وصفوا مينء بجاية، ومختلف الموانئ الملحقة به شرق وغرب المملكة، ومنهم البكري الذي أشار بحيوية النشاط الحربي صناعة وحيوية على مجمل المقومات التي كان يزخر بها المغرب الأوسط حيث تمثلت في انفتاحها على البحر وتعرج سواحلها أسطولها .

وغنى اراضيها بالمواد الأولية المتنوعة سواء النباتية او المعدنية مثل : الأخشاب، الحديد، الزفت و القطران وهي كلها مقومات أساسية لإزدهار حركة الملاحة بالتحديات التي فرضت على الحماديون وغيرهم، بتنامي قوة النورمان البحرية في جنوب أوروبا، فأدى إلى وضع أسس متينة لمنشآت صناعية قاعدية خصصت هذا المجال وغيره، ومنها منشأة بجاية التي وصفها الإدريسي بقوله : " وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل و المراكب و السفن و الحرايب إضافة إلى دورين آخرين خصصها لنفس الغرض وهما مرسى بونة، ومرسى الخالخرز(القالة) التي صنع بها مرفآ فيه تنشأ فيه السفن و المراكب الحربية.

هذا مامنح الحماديين مجالا رحبا لنشاطهم البحري، وقدرة أوسع مجالا رحبا لنشاطهم البحري، وقدرة أوسع على الوقوف بالمرصاد لكل قوة بحرية مماثلة خاصة النورماتية منها في عرض البحر المتوسط، فادى إلى توسيع سعة الحربي منه عددا وعدة، وجعل ميناء بجاية يضاهي في حركته ونشاطه العسكري و المدني مركز المهدنة البحري بإفريقية فكانت شواطئها الممتدة من مرسى الحرز و بونة شرقا إلى مرسى تنس على مشارف وهران غربا، محمية بما أقيم عليها من تحصينات حربية بحرية، فتشرفت بحمل اسم قاعدة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد.

([1]) كمال السيد أبو المصطفى، المرجع نفسه، ص 88.

فميناء بجاية محاطا بجبل أميسون (قوراية) أشرف على الميناء كله فسمح بتأمين الحماية له، وضمان المراقبة الدائمة لأي حركة في البحر على مسافات أبعد، بعد أن تدعمت المدينة امتداده وصل ارتفاعها فوق مستوى السور لتتراوح مابين الاربة و الستة أمتار للقيام بمهمة مزدوجة مراقبة المجالين البري ة البحري.

وعلى نفس الأسس و الأساليب التحصينية استند مرسى بونة ثم إلى مرسى منيع وهو مرسى بونة ومرسى الخرز (القالة) المدينة التي أحاط بها البحر عليها سور وصنع بها مرفأ للسفن، هذا الاختيار سمح لها بالتحكم في الأوضاع من خلال السيطرة على سواحلها رغم الغارات النورماتية المفاجأة التي تعرضت لها الكثير من المناطق بين الحين و الآخر([1]).

تنوعت قطع الأسطول الحمادي بين الصغير الحجم المتميز بخفة الحركة و القدرة الكبيرة على المناورة، باعتماد أسلوب الكر و الغر، وهي ميزة اتصفت بها البحرية الجزائرية عبر تاريخها الطويل .

فعن تركيبة الأسطول استند إلى الأسس القاعدية لحركة التصنيع البحري الذي انتشرت عبر الموانئ متمثلة في دور صناعة الأساطيل التي تتطلبها الأغراض الحربية و المدنية وفق نماذج فرضتها المرحلة وتحديات التي لازمتها مما أكسبهم خبرة أكثر، فأجادوا في استخدام الوسائل و الأبتكارات وقد اشتمل الأسطول الحمادي علة نماذج عديدة من الوحدات الحربية أشارت إلى توظيفها الكثير من المصادر في المعرض الحديث عن الغزوات البحرية الحمادية سواء معه المسيحيين، أو مع جيرانهم الزيريين [2]و الموحدين، وعليه تنوعت القطع البحرية التي تشكل منها الأسطول الحمادي، السفن و المراكب و الحرابي وغيرها [3]، فالأولى مسطحة الشكل توجه لحصر مجال تعبئة البحارى المقاتلين ونقلهم إلى ميادين المواجهة لصد العدو او الإغارة عليه، حيث تستخدم المجاذيف او الاشرعة أداو لحركتهم السريعة بهدف الوصول على الاستيلاء على اكبر قدر من وحدات العدو، فمن دار الصناعة بعاصمتهم الثانية بجاية تركب السفن إلى جميع الجهادفي حين تستخدم الثانية للتزويد الأسطول عموما بالعتاد الحربي و المؤونة اللازمة له تبعا

([1]) موسى هيصام، **الجيش في العهد الحمادي**، 405- 547هـ/1014-1152، رسالة الماجيستير في التاريخ الوسيط، إشراف د موسى لقبال، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص54

[2] الادريسي، المصدر السابق، ص83.

[3] الحموي، .**معجم البلدان**، المصدر السابق، ص495

للمدة التي يقضيها الأسطول في غزوه البحري في حين يعتمد على الحرابي في كشف طلائع العدو ونق أخباره إلى مقد الأسطول، لترتيب خطط الهجوم او الدفاع حسب طبيعة المعركة و الظروف المحيطة بها وبمرسى الخرز تنشأ السفن و المراكب الحربية التي تغزى بها بلاد الروم وإليها بقصد الغزاة من كل افق لان مقطعها يقرب من جزيرة سردينيا، أما مدينة بجاية ففيها دار صناعة للإنشاء الأساطيل و المراكب و الحرابي توجه بدورها للغزو في القسم الغربي من المتوسط بحكم انفتاحها هي الأخرى على جزيرة سردينيا وكوسيكا على الواجهة الأوروبية على غرار انطلاق حركة الوحداتن البحرية المذكورة من بونة ومرسى جيجل و الجزائر بني مزغنة ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها، تحاديها ف إذا نزل بهم عدو لجأو إليها فكانوا في أمن ومرسى الدجاج ومرسى التنس على مقربة من ضفة البحر تخرج منها إلى كل الآفاق المراكب إما في حالة لاسلم أو الحرب، هجوما أو دفاعا يتم فيها تحصين الأسرى في الكثير من الحالات، ولا يطلق سراحهم إلا بعد فديتهم لتوجه عائدات ذلك لتموين عمليات الغزو التي تليها أما قطع الاسطول الكبيرة تعدّ ركيزة النشاط الحربي الحمادي، وتنوعت بين الشواني و الشلنديات و الغرابين و الحراريق هذا التنوع في قطع الأسطول الحمادي أهل للدولة للتبوء مكانة بحرية إلى جانب القوى المماثلة في المنطقة وكثافة و حيوية نشاط أسطولها إما في ضربه بموتنئ جنوب أوروبا في إطار الجهاد البحري أو صوب سواحل إفريقية بمحاولة لتوسع الرقعة الجغرافية للدولة على حساب جيرانهم الزيريين متمثلا في الحصار الذي ضرب في الكثير من الفترات على موانئ المهدية وجربة [1]

ولقد كانت بجاية نشيطة صناعيا لاسيما في الصناعات التي تتعلق بالبحر نظرا لكونها أهم مرفأ حمادي [2]ويحدثناعن صناعتها الغدريسي الذي انتهت حياته بعد نهاية الدولة الحمادية بقليل، فيذكر أنه ببجاية دار صناعة لإنشاء الأساطيل و المراكب و و السفن

و الحرابي ([3]) المتنوعة الأحجام و الأشكال الموجهة للقتال كما قامت صناعة السفن بمرسى الخرز لأن االخشب في جبالها و أوديتها كثير موجود وبجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة و القطران وفي هذه المدينة تنشا السفن و المراكب الحربية و" مرسى الدجاج" مرسى مأمون تقصدها الأساطيل إلى جانب الموانئ المماثلة اختصت بنفس النشاط كمرسى بونة الذي أنشأت

([1]) ابن خلدون عبد الرحمن، **العبر و ديوان المبتدأ والخبر**، ج6، دار الكتاب، لبنان، بيروت، 1983، ص368.

([2])عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، ط2، دار الصحوة، القاهرة، ، 1411م، ص226.

([3])الادريسي، المصدر السابق، ص ص90-91.

به دار لصناعة السفن على عهد المنصور بن الناصروأهم ماميز إنشاءها صناعتها من خشب الأرز و الزان مع اعتماد التثبيت بالمسامير وطلائها بالزفت و القطران و الصمغ إما باستعمال الأخشاب المحلية أو استيرادها من البدندقية أو غيرها.

اما الوحدات التي تنشأ فيها هذه الدور و التي تدمج ضمن أسطولها الحربي فاشتملت انواع متعددة منها :

1-**القطع الصغيرة الحجم** : تتميز بقدرتها الكبيرة على المناورة وخفة الحركة وفعالية القتالية عند استخدام تاكتيك الكرو الفرو منها ([1]).

2-**السفن**: المراكب الجارية الموجهة لنقل المقاتلين تأخذ شكلا مسطحا تعتمد في حركتها على المجاذيف او الأشرعة حسب طبيعة كل نوع منها تستخدم في إغارة على مراكب العدو، عن طريق الالتصاق ثم الاقتحام .

3-**المراكب**: أكثر اتساعا وحمولة من الأولى تخصصت في أغراض تجارية تستخدم عسكريا في نقل العتاد الحربي و المؤونة عند القيام برحلة ملاحية لمدة أطول في عرض البحر المتوسط، وتنشا إلى جانب النوع الأول في بجاية ومرسى الخرز وبونة، فالأولى بها دار للصناعة المراكب وإنشاء السفن([2]) و الثانية تنشأ السفن و المراكب الحربية .

4-**الحرابي**: مرفدها حرابية، قطع تماثل الزورق الموجه لأغراض إقتصادية تستخدم عادة في رصد تحركات العدو وطلائعه .

5-**الطرائد**: وسيلة تكامل بين القوات البرية و البحرية خاصة عند الاعتماد على أسلوب حصار المدن المفتوحة على البحر، أو لنقل الجنود .

6-**القطع الكبيرة الضخمة** : وتمثل القوة الضاربة للأسطول الحربي فهي قطع مسطحة بمجاذيف أو أشرعة متعددة توجه نحو المسافات الطويلة، تصنع عادة من الخشب المحكم التشكيل إذ تربط بعضها ببعض، لتلحم بعدها بشحوم الحيوانات وبعض الأسماك، أو بواسطة الزفت و القطران .

7-**الشواني**: وتصنع في بجاية وبونة تستخدم المجاذيف وأدوات للحركة، تزود عادة بمائة وثلاثة و أربعين مجذافا، أو بأشرعة بها مغاليف خاصة تحيط بالجلود لحمايتهم من ضربات العدو .

([1]) موسى هيصام، المرجع السابق، ص52 53.

([2]) الحميري، المصدر السابق، ص81.

8-**الشلنديات** : وتصنع بدورها في بجاية و مرسى الخرز و بونة[1] وغيرها، توجه للتنويع قدرات الأسطول الهجومية أو الدفاعية.

9-**الغرابين أو الأغربة:** وهي الأكثر صنعا و استعمالا في البحرية الحمادية وكان الحماديون يستخدمون هذا النوع في حصار المدن الاعداء المطلة على البحر، ومنها حصارهم للمهدية سنة 530هـ /1136م حيث فقدوا خلالها قطع أسطولهم (الغرابين) .

10-الحراريق: وهي من أخطر المراكب التي ضمها الأسطول الحمادي صناعة ونشاطا([2]).

سبتة :وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها اجود مرسى على البحر وهي تشبه المهدية التي بافريقيا على ما قيل لانها ضاربة في البحر كما كانت القاعدة الرئسية الاسطول الموحدي واتخذ الموحدين سبتة قاعدة لأساطيلهم الغزوانية يقول ابن خلدون "انّ سبتة كانت منذ قيام دولة الموحدين " ثغر العدوة ومرقى الاسطول ودار إنشاء الآلات البحرية ".

ولما كتنت الأخشاب الصالحة تتوفر في أحواز سبتة فإن المرابطين و الموحدين أنشأوا فيها دورا لصناعة السفن وفي أحواز سبتة تتوفر أشجار الأرز و البلوط ومعادن الحديد ومما يستعان به لإنشاء السفن وما يرجع إلى الأمور الجهادية وقد اشتهرت سبتة و طنجة بصناعة السفن لقد نالت صناعة السفن عناية ولاة الأمر لاحتياجهم لها في نقل جنودهم إلى الأندلس وخماية شواطئ البلاد من غارات الاعداء(2) .

سلا : اهتم الموحدون اهتماما كبيرا لإنشاء دور الصناعة على لاسواحل المغربية الاندلسية وقد أشار بن أبي الزرع إلى انه في سنة 575 هـ /1162م انتجت دور الصناعة في االعدوتين أسطولا من أربعة مائة قطعة منها في سلا و المعمورة مائة وعشرون قطعة اما من اهتم من المرنيين بالأسطول فهو السلطان يعقوب با عبد الحق الذي رجع غليه الفضل في بناء دار

---

(1) ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، ج1، تح ليفي بروفونسال و كولان، ط3، 19831م، ص312.

(2) عبد الرحمن الجيلالي ، **تاريخ الجزائر العام**، ط6، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص388.

(3) عطا علي مُحَّد شحاتة، **اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرنيين و الوطاسيين**، ط1، دار الكلمة دمشق، 1999م، ص166.

الصناعة بسلا على يد المهندس الأندلسي مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن مُحَمَّد بن الحاج الإشبيلي (1).

(1) كان مكن مدجنى مدينة إشبيلية من العارفية بحبل الهندسة واتحاذ الالات الحربية الحميدي عبد المنعم مدينة سلا في العصر الإسلامي، ص77.

المبحث الثالث

المبحث الثالث : ناعة السفن التجارية و العسكرية

1/ السفن التجارية

2/السفن العسكرية

المبحث الثالث : ناعة السفن التجارية و العسكرية

1- ناعة السفن التجارية :

لقد كان طرفا إفريقية الشمالية في الشرق و الغرب، ومن الامتداد لطرفيها في الشرق ساحل إفريقية وفي الغرب السهول التي تشرف على المحيط الأطلسي، قاعدة لانطلاق الغزو الإسلامي للغرب الذي يقع تحت سيطرة البرابرة، وكانت المنطقتان مركزين لبناء السفن بفضل الغابات التي تكسو الجبال الشاطئية من الشرق حتى جبال الريف، فالساحل إفريقية ينقل هذه المنتجات إلى لاشرق الإسلامي و صقلبة ومضيق جبل طارق تنقل عن طريقه المنتجات إلى اسبانيا وما وراءها من بلاد الافرنج و" امبراطورية شارلمان" التي ظلت بمعزا عن موجة الفتح الإسلامي و المنطقتان يسود فيهمت نشاط بحري ممتاز .

الشواطئ الشمالية للمغرب باسبانيا، عن طريق مضيق جبل طارق، ذات تكوين مزدوج فهي أولا تمثل علاقات مباشرة فقد أنشأت على هذه الشواطئ موانئ جهزت بأحواض و أرصفة وسلسلة من مصانع السفن وورش التصليح مثل الإسكندرية ومهدية وتونس وبجاية، وكانت السفن الكبيرة ترسو فيها وتفرغ حمولاتها الكبيرة، وحركة النقل البحري ستشهد نشاطا واسعا خصوصا في غضون الفترة بعينها هي التي شهدت بناء السفن كبيرة الحجم لنقل السلع في القرن(8م /11م) وقد استمر صنع السفن على الطريقة المعروفة بالبحر الأبيض المتوسط ولاسيما السفينة المزودة بسارتين ذات الأشرعة اللاتينية [1]ولكن صناعة السفن قد استفادت الوصول إلى الطرق التقنية المعروفة في المحيط الهندي ولكن البحارة كانوا يمارسون أيضا ملاحة الشواطئ من مرسى إلى مرسى ولكنه كان يوجد إلى جانب السفن الكبيرة الحمولة الأصغر و القوارب تواصل النشاط الملاحي القديم على الشواطئ .

واشتهرت القيروان التي أسسها عقبة بن نافع لغرض عسكري باعتبارها مركزا تجاريا فكانت أغلب الطرق التجارية المؤدية الى إفريقيا و المغرب تمر بها أو تلتقي عندها، و نتيجة لهذا تحولت إلى مدينة تجارية كبيرة، وكان لها ميناء كبير يسع ثلاثين مركبا هو المهدية وكان هذا الميناء محاطا بالسفن

---

[1] موريس لومبار، **الإسلام في مجده الاول من القرن الثاني إلى القرن الخامس هجري**، تر اسماعيل العربي، ط، 3، 3منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب،ص ص93، 94 .

القادمة من المشرق و المغرب وكان يصب في القيروان كثير من البضائع، كما يصدر الكثير أيضا حيث التقت فيها مختلف السلع القادمة من قلب افريقيا ومصر بالقادمة من أوروبا [1].

ومن الموانئ الشهيرة من البحر الأبيض المتوسط ميناء طرابلس وهي مبنية بالصخر الأبيض على ساحل البحر ذات مراسى عظيم ترسى به المراكب ليلا ونهار على مدار السنة حاملة التجارات من اروبا و المغرب [2]كما كانت سوقا تجاريا لتجارة افريقيا بواسطة القوافل كما غادرتها القوافل التجارية الى وسط افريقيا والمغرب [3]وكانت تجبى بطرابلس ضريبة على القوافل الواردة اليها، بالإضافة إلى شهرتها التجارية ذات شهرة عريقة في صناعة الأكسية فاخرة الزرقاء [4]وفي بلاد تونس نالت سفاقس شهرة كبيرة كميناء تجاري وكانت تقع على الساحل الشرقي إلى الشمال من خليجي قابس وكانت تعتبر من أهم مراكز صناعة الزيتون وقد اشترى التجار مصر و المغرب من زيتها الذي اشتهر بجودته ورخصه ولكثرة التجار المترددين عليها وجدت بها فنادق لنزولهم، بالإضافة إلى شهرتها في صناعة المنسوجات[5] .

ومن أشهر موانئ الجزائر ميناء بجاية من القسطنطينية ويقع على البحر المتوسط في خليج مفتوح تكتنفه الجبال وترسو به السفن وتوفد إليها القوافل من جميع الجهات وهي بمثابة مخزن للبضائع، وتجارها على صلة بتجار إفريقيا الغربية وتجار الصحراء و الشرق، كما كثرت بها الأخشاب ومن اهم منتجاتها القطران الجيد وقد عقدت معها الدول الأوروبية معاهدات تجارية وصارت بفضل تجارتها من أكبر المدن الإفريقية .

أما سبتة فكانت من أجود مراسي بلاد المغرب المشهورة مقابلة لجزيرة الأندلس وترد إليها السفن من جميع الاتجاهات وبينها وبين قابس مسيرة عشرة أيام، ومن اهم منتجاتها المرجان ويعمل في استخراجه أكثر من خمسين قاربا ويأتي التجار إليها من مختلف البقاع للحصول عليه .

([1]) الادريسي، المصدر السابق،ص ص107 -108.

([2]) ابن حوقل، **ورة الارض**، منشورات دار مكتبة االحياة، بيروت،ص ص68-69.

([3]) شوقي عبد القوي عثمان، **التجارة بين مصر و إفريقيا في عصر المماليك**، 1517/1250م، ص79.

([4]) قابس، على بعد ست مراحل من القيروان ابن حوقل، صورة الأرض، ص77.

([5]) لسان الدين الخطيب، **أعمال الاعلام في من بيع قيل الاستلام من ملوك الاسلام**، ط2، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956م، ص351.

ومن اهم موانئ المتوسط التي قصدتها السفن دمياط و الإسكندرية وبرقة، ويعد ثغر دمياط و الإسكندرية أشهر واعظم مينائين تجاريين بمصر على البحر المتوسط والدمياط ثغر على جانب النيل من البحر المتوسط وكان على المدينة برجان احدهما في الدمياط وآخر اتجاهه في البر الغربي على نهر النيل و المراكب الواردة تدخل من بين البرجين وكانت توجد سلسلة موضوعة بين البرجين حتى لا تدخل المراكب غلا بإذن صاحب الثغر ويبدوا أن لأهمية موقع دمياط التجاري و الحربي أحيطت بسور ويذكر ابن بطوطة من يدخل المدينة لا سبيل إلى خروجه إلا بطابع الوالي وبعض الناس ذوي الأهمية يطبع لهم في قطعة كاغط ليريه على الحراس، وقبد كان لردم البحر

الفسطاط. فانها سميت بالعاصمة التجارية لمصر زمن الدولة الفاطمية فهي كما وصفها المقدسي : الفسطاط هو مصر في كل قول لأن جميع الدواوين يجيئ ابدا أليه ثمرات الشام و المغرب و تسير الرفاق إليه من العراق و المشرق ويقطع إليه مراكب الجزيرة و الروم تجارته عجيبة ومعاشه مفيدة وامواله كثيرة .

واستمدت الفسطاط هذه المكانة التجارية المهمة من موقعها الجغرافي نظرا لوقوعها على نهر النيل لموضع متوسط بين الوجهتين البحري و القبلي و بالتالي اتصالها بثغور مصر الشمالية ومدنها الجنوبية عن طريق نهر النيل واتصالها عمرانيا بالقاهرة مقر الخلفاء الفاطميين[1].

بالإضافة على مدينة صور وصيدا وعسقلان التي تكون قواعد بحرية للأسطول في شرق البحر الأبيض المتوسط تصد أي هجوم بيزنطي على دولتهم وقد أدى هذا الاهتمام إلى ازدهار التجارة في هذه المدن فوصفت مدينة صور تلك الفترة بأنها عظيمة على شاطئ البحر ذات الميناء العظيم مليئ بحركة الشحن و التفريغ للمتاجر القادمة غليها او الصادرة منها وقد اشتهرت مدينة صيدا بأسواق الجملة النظيفة وهي على شاطئ البحرالابيض المتوسط.

2/ مناعة السفن العسكرية:

تنقسم على قسمين نيلية وحربية التي كانت تستعمل للغزو وشحن العدو بالسلاحومن ثغر الاسكندرية الى حرب جهاد الروم والافرنج وغيرهم [2] وكان يقال لمجموع هذه السفن الحربية عند العرب "الأسطول " وهو لفظ يوناني (Stolos) استخدمه العرب بمعنى مجموعة سفن الحرب التي

---

[1] البراوي راشد، **حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958م، ص193.

[2] عبد الفتاح عبادة ، المرجع السابق، ص3.

تعمل سويا ومع نهاية القرن الهجري الأول وبداية القرن الثامن ميلادي كانت الإدارة البحرية للخلافة قد نظمت تنظيما جيدا فقد تم تقسيم القوة البحرية إلى أساطيل ذات قيادة مستقلة و يكشف ابن خلدون هذه الحقيقة" و تكررت ممارستهم للبحر وثقافته و استحدثوا بسرائبها و شرعوا إلى الجهاد فيه و أنشأوا السفن فيه و الشواني و شحنوا الأساطيل بالرجال و السلاح و أمطوها العساكر و المقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ومما زاد الامر تعقيدا ان القرصنة كانت منتشرة في العصور الوسطى انتشارا كبيرا مما دعا أنّ تبنى كل السفن التجارية و الحربية على السواء بطريقة تستطيع معها الدفاع عن نفسها في وقت الخطر ولذا أصبح من العسير التفرقة بين السفن الحربية و التجارية فقد اصبحت مؤخرة كل سفينة تحتوي على ساحة للقتال وفي بعض الأحيان على الساحتين إحداهما المقدمة و الثانية في المؤخرة وقد انتقلت فكرة بناء ساحى للقتال وكذا الاصطلاح من سفن البحر الابيض المتوسط إلى سفن البحار الشمالية كذلك ابان الحروب الصليبية حيث كانت مصر تصنع السفن الحربية لها و للدولة البيزنطية وكانت على نوعين نوع كبير الحجم و يمكن ان نسميه البوارج و تسع السفينة منها ألف رجل ونوع صغير يمكن تسميته الطردات وكانت الواحدة منها تسع مائة رجل، كما كانت مهمتها االسير السريع و اللف حول السفن الكبرى ويذكر سيبوس وصفا على جانب عظيم من الأهمية للسفن المصرية التي أرست لغزو بيزنطة في عهد معاوية جاء فيه انّ عهد السفن الكبري ثلاث مائة كل منها يحمل الف رجل وعدد الطرادات خمسة آلاف كل منها يحمل مائة رجل، فيكون عدد من أرسلوا بالبحر لغزو بيزنطة ثلاث مائة ألف رجل يضاف إلى ذلك ماكانت تحمله السفن من السلاح و الآلات وكذا المؤونة و الخيام ، كما أن الجزء الكبير منها تشتغل بالخيوم وكاتنت بالاسكندرية دار لصناعة السفن منذ عصر البطالمة تنتج سفنا تجارية وحربية تحمل المجانيق وآلات قذف الحجارة و النيران.[1]

و في القرن الثالث ميلادي تطور بناء السفن الحربية بعض الشيئ فقد أصبح الهيكل قليل العمق مغلقا بالقصدير أما فتحات المجاذيف فقد أحيطت بطبقة من الجلد حتى يسهل انزلاق المجداف فيها و يعلو الصف الفتحات ظهر السسفينة وأصبح للسفينة دفتان على جانبيها من الوسط و في طرفيها معبر خشبي مثبت بمسامير كبيرة، فإذا ما اقتربت السفينة من سفن العدو فغن المسامير الكبيرة تقوم بعملية تمزيقها و تحطيمها، أما المعبر الخشبي فهو متحرك و يستعمل للعبور عليه على سفن العدو أو للشاطئ، وقد بقي هذا التصميم للسفن الحربية قرابة 15 قرن لم يدخل عليه شيئ

[1]- عبد الفتاح عبادة، المرجع السابق، ص03.

يذكر ويذكر سيبوس فيقول أن السفن الحربية كانت مزودة بآلات القذف التي تستعمل في سور صرح الأسوار المحصنة، وذلك بأن يقيموا قنطرة من الألواح على الفضاء القليل الذي يفصل بين البر ج، ويعبروا عليها إلى الحصون و الأسوار كما كانت السفن المصرية مجهزة بالآلات تقذف النار وهي النار الإغريقية وقد جاء في وصف سيبوس أن السفن التي بنيت في مصر بعد الفتح العربي مراكب العرب كانت مجهزة بالمجانيق لقذف المواد الملتهبة وهي المواد االتي قبل تجهيزها كان في القرن 7م على الأقل سرا مكنونا اختص به أهل بيزنطة وكذلك استعملت السفن لحماية الثغور و المحارس، و كانت أيضا هناك سفن تستخدم في عملية الكشف و الاستطلاع البحري وقد استعمل الغراب أيضا هذه الغاية[1].

([1]) درويش النخيلي، االمرجع السابق، ص109.

تدل الروايات الخاصة بغزو جزيرة صقلية علي أن أساطيل مصر هي التي كانت تتولي مهمة غزو هذه الجزيرة و غيرها من جزر البحر المتوسط الغربي حتي بداية القرن 2 هـ ، عندما بدأت دار صناعة اللانشاء بتونس تنتج لاول مرة سفنا اسلامية و كانت بالاسكندرية دار صناعة السفن منذ العصر البطليمي تنتج سفنا تجارية و حربية تحمل المجانيق و ألات قذف الحجارة النيران و كانت يخرج منها أمراء البحر للغزو كما حدث عندما خرج معاوية بن عامر الجهني في سنة 47هـ بعد أن تولي امرة البحر ولذلك اعتمد العرب بادئ علي دار صناعة الاسكندرية و دار صناعة الجزيرة و علي خبرة المشتغلين بالبحر من اهل مصر الاقباط الذين لم يشتركوا مشاركة فعلية في المعارك البحرية الاولي التي خاضها المسلمون فحسب بل ساهموا مع جيش عبد الله ابن سعد في موقعة سبيطلة التي حدثت في 28هـ ،ومما لا شك فيه ان الاسطول المصري هو الذي نقل غنائم عبد الله بن سعد التي كان ينوء بها جيشه من طرابلس الي الاسكندرية [1]، والا سطول المصري هو الذي غزا صقلية في سنة 46هـ، و الاسطول المصري بقيادة عقبة بن نافع غزا في البحر في شتاء سنة 49هـ.

و يبدو ان الاسطول الاسلامي الذي كان يتالف بوجه خاص من مراكب مصرية ، اشتلرك في العمليات الحربية ضد البيزنطيين في ولاية حسان بن النعمان ، وقد احرز هذا الاسطول في مياه قرطاجنة انتصارا ساحقا علي الاسطول البزنطي و كان هذا الاسطول قد نزل علي الساحل الافريقي في سنة 79هـ (698م) [2].

لم يكن الفاطميون الذين اسسوا دولتهم و في المغرب الاسلامي منذ سنة 292 هـ اقل اهتماما بشؤون البحر من الاغالبة اننا لا نتجاوز قط الصواب اذا قلنا انهم فاقوا الاغالبة في شدة العناية بالاساطيل ،و الاعتماد علي هذه الاساطيل في تدعيم نفوذهم و تمكينه في بلاد المغرب وفي جزر البحر المتوسط الغربي ، ويسجل انشاء مدينة المهدية في سنة 303هـ[3] اول اجراء عملي قام

---

[1] السيد عبد العزيز سالم ،احمد مختاري العبادي ،تاريخ البحرية الاسلامية المرجع السابق ص 25.

[2]) البكري المغربي في ذكر بلاد افريقيا و المغرب ،المصدر السابق ص38السيد عبد العزيز سالم ،المرجع السابق ص67.

[3] السيد عبد العزيز سالم، احمد مختاري العبادي ،نفسه ،ص136

به الفاطميون لتطبيق سياسة بحرية فمما لا شك فيه ان المهدية كانت تتمتع بموقع استراتيجي هام بين سفاقس و المنستير في جزيرة متصلة بالبر [1]

وكان لانشاء المهدية أعظم الاثر في تدعيم اسطول افريقية فقد كانت المهدية اكثر انتاجا للسفن الفاطمية من دار الصناعة بتونس و يبدو ان المهدي كان حريصا علي انشاء اسطول ضخم مزود بالرجال و العتاد لتنفيذ سياسة التو سيعية سواء في الاندلس ام في المشرق ، وقد نجح المهدي في ضم صقلية في سنة 304هـ الذي قدم اليها في الاساطيل و استنزل الثوار و ذكر المقريزي ان المهدي سير الي مصر ، لنجد ابنه القائم ، ثمانين مركبا ارست بالاسكندرية و شرع المهدي نشاطه البحري من جديد بغزو جزيرة جربة ، فهاجمها أسطوله في قوة .

و يبدو أن الضغط المتواصل الذي قام به الفاطميون من قواعدهم في صقلية و افريقية كان سببا في عودة ضهور القوة البحرية البزنطية ، فأرسل القائم بالله ابن المهدي في سنة 323هـ اسطولا كبيرا لتدعيم السلطان الفاطمي في مياه البحر التيراني و استطاع هذا الاسطول أن يهاجم مدينة جنوة ، و يفتتحها و أحرق عددا كبيرا من السفن الراسية بها[2].

في العصر الأموي :

بعد أن أصبح لتونس اسطولها الخاص ، اتجه موسى بن نصير الى اصطناع سياسة بحرية من أهدافها السيطرة على جزر البحر المتوسط الغربي و على رأسها صقلية ، و اتخاذها قواعد بحرية أمامية تحمي السواحل الافريقية ، و تنطلق منها الغزوات المنتظمة على الأندلس و غالة و قد طبق موسى بن نصير و من خلفه من ولات افريقية سياسة تقوم على الضغط المتواصل على الروم في صقلية ، بحيث لم يترك لأساطيلهم فرصة للتفوق البحري ، و أول الغزوات العربية في بحر افريقية غزوة الأشراف التي غزى فيها عبد الله بن موسى صقلية [3]، كذلك نعتقد أن دار الصناعة بتونس انتجت عددا آخر من السفن استخدمها موسى بن نصير في حملته على الأندلس في سنة 93 و هي حملةأضخم بكثير من حملة طارق بن زياد ، اذ كان جيشه يتألف في هذه المرة من 18 ألف من العرب[4].

---

[1] ياقوت الحمون ,معج البلدان ، م5 ، ص230.

[2] السيد عبد العزيز سالم و أحمد مختار العبادي، المرجع السابق ،ص ص 137-176.

[3] بن أبي الدينار ، المصر السابق ، ص 12.

[4] السيد عبد العزيز سالم ، **تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس** ،المرجع السابق، ص 94.

و كانت سواحل افريقية أكثر سواحل المغرب تعرضا لأخطار الغزو البحري البزنطي ، و على هذا النحو نشأت الأربطة و المحارس أو المنادر على طول ساحل افريقية و برقة منذ عصر مبكر و قد لعبت الرباطات دورا هاما في الحياة الدينية و الحربية ببلاد افريقية ، و كان الرباط يزود عادة بمنار توقد فيه النار ليلا للتنذير باقتراب سفن العدو ، و تتأهب لملاقات العدو برا و بحرا .

ففي العصر الأموي أنشأ المسلمون الأساطيل و دور الصناعة لناء السفن التجارية و البحرية بشتى أصنافها و أحجامها ، و خلال العصر الأموي أصبحت تونس و الاسكندرية ، رشيد و دمياط و صور و عكة و طرابلس و اللاذقية قواعد بحرية للأساطيل الاسلامية البحرية و التجارية .

و إستمر معاوية يرسل الصوائف على أرض الروم بالبر و البحر ، و استخدم قواده جزيرة أرواد قاعدة بحرية للقوات الغازية ، و في جمادى الأولى سنة 54هـ أبريل 674م ، بدأ المسلمون حصارهم الثاني للقسطنطينية ، و في الطريق الى هذا الحصار استولى المسلمون على أزمير و احتلوا ساحل ليكيا ، و خرج الأسطول الاسلامي من جزيرة أرواد ، و أحكم المسلمون حصار القسطنطينية برا و بحرا ، و اجتهدوا في القتال لكن البزنطيين استعملوا النار الافريقية ، و قد كان أثر هذه النار حاسما ، و انتهى الأمر بأن عقد معاوية بن أبي سفيان معاهدة صلح 59هـ /679م [1].

أما عن التنظيمات البحرية في عهد الأمويين ،فيمكن القول انه كانت هناك ثلاث أساطيل مستقلة استقلالا ذاتيا الى حد ما ، و يعتمد كل منها على اقليم بحري مستقل ، و هذه الأساطيل الثلاثة أسطول مصر ، أسطول سورية ثم أسطول شمال افريقية التي تكون بعد عام 704م ، و يضاف الى ذلك وحدة بحرية صغيرة تعمل في البحر الأحمر لحراسته [2].

و سجل المسلمون بفتوحهم في صقلية و اقريطش و مالطة و قوصرة ، و جزر البليار و سردانية سيطرتهم البحرية في حوض البحر المتوسط الأوسط و الغربي ، فقد أتاح لهم فتح هذه الجزر تأسيس دور لصناعة السفن في الخالصة [3] ، و بلرم و شنت ماركو و مسيني و في قوصرة و مالطة ،

---

[1] حسن مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، الزهراء للاعلام العربي ، ط1 ، 1407هـ/1987م ،ص ص 285-286.

[2] سعد ماهر ، المرجع السابق ، ص 87.

[3] المقديسي ، أحسن التقاسيم ، المصدر السابق ، ص 222 ، ابن الحوقل ، المصدر السابق ص 114، الادريسي ، نزهة المشتاق ، المصدر السابق ، ص 29 ، ابن ابي دينار ، المصدر السابق ، ص 82.

و اقامة قواعد بحرية في تلك الجزر لشن غاراتهم المتواصلة على سواحل ايطاليا الجنوبية و الغربية و الشمالية الغربية ، و الشمالية الشرقية [1].

و بذلك أصبحت للمسلمين في القرنين الثالث و الرابع هجري الغلبة على غيرهم من القوة البحرية في هذا القسم الغربي من حوض البحر المتوسط ، و في ذلك يقول ابن خلدون :" و المسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر ، و صارت أساطيلهم فيه جائية و ذاهبة ، و العساكر الاسلامية تجيز البحر في الأساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية ، فتوقع بالملوك الافرنج و تثخن في ممالكهم ، كما وقع في أمم النصرانية بأساطيلهم ، الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الفرنجة و الصقالية ، و جزائر الرومانية لا يعدونها ، و أساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسيته و قد ملات الأكثر من بسيط هذا البحر عدة و عددا ، و اختلف في طريقه سلما و حربا فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح [2].

و في عام 28هـ/ 649م قام المسلمون بتجهيز أسطول بحري و شنوا هجوما على الاسكندرية و غيرها من موانئ الشرق المتوسط ، و انتزعوا قبرص من ايدي البزنطيين في عام 34هـ / 655م اشتبك المسلمون في معركة بحرية ذات الصواري مع الاغارقة و دمروا أسطولهم المكون من خمسة مائة سفينة ، و بذلك انتهت سيطرت في شرق البحر المتوسط و كان لسقوط الاسكندرية أن مهد السبيل أمام المسلمين للزحف غربا نحو ليبيا ، ففتح عمرو مدينة برقة بنتابوليس ، بعد مقاومة لا تذكر ، أما أهل طرابلس فقد دفعوا جزية في السنة نفسها و جاء بعد عمرو عبد الله بن ابي سرح ، فسار غربا الى افريقيا ، و أرغم أهل قرطاجة على دفع جزية كذلك في عام 31هـ /652م .اندفع عبد الله نحو الجنوب و عقد ميثاق سلام مع أهل النوبة.

الفتوحات في الشرق و الغرب :

حدثت تطورات لاحقة في الشرق تحت امارة الحجاج بن يوسف الثقفي 95هـ/714م ، و في الغرب تحت امرة موسى بن نصير(97هـ/716م) ، فقد برزت شخصية الحجاج في خدمة الأسرة الأموية في الحجاز ، فعين حاكما على المناطق الشرقية عام 74هـ/694م ، ليعيد الهدوء اليها و قد

---

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، ج2 ، ص 630.

[2] أطلس الحضارة الاسلامية ، الدكتور اسماعيل راحي الفاروقي ، لمياء الفاروقي ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، ص ص 312-313.

فعل ذلك بيد من حديد ، عبأ المنطقة لتوسع في نشر الاسلام في آسيا ، اختار الحجاج ثلاثة من ابرز القادة أرسلهم الى الاتجاهات المختلفة من ثلاثة جيوش حسنة لتجهيز مسار عبد الرحمان بن الأشعث الى كابل ، و أخضع ملكها "زبنيل" عام 80هـ/700م ، ثم سار قتيبة بن مسلم الباهلي و فتح "بَلْخ " عام 85هـ / 705م ، و بعدها "بخارى" و سمرقند و خوارزم (حيفا الحالية) ، في مدة قصيرة لم تتجاوز السنتين 91-93هـ /710-712م ، و بع ذلك سبتة ثم فتحها فرغانة و تبعتها كاشكر تركستان الصينية عام 96هـ/715م ، و في عام 133هـ/751م ألحقت الشاش (طاشقند) بالامبراطورية الاسلامية ، أما القائد "3" مُحَمَّد بن القاسم الثقفي ، فقد أخمد الاضطرابات في "مكران" و دخل "السند" عام 92هـ/711م لإنقاذ السفينة المحملة بتجارة المسلمين غرقوا في "ديبول" عند مصب نهر "السند" قرب كراحي الحالية ، ثم تقدم الى "نيرو" و هي حيدر أباد الحالية و أقام حكومة اسلامية امتدت سلطتها الى حملتان .

القائد عقبة بن نافع على رأس جيش سار به الى افريقية في عام 50هـ/760م ،كان عقبة قد أسس مدينة القيروان في تونس الحالية و قريبة من قرطاجة لتكون قاعدة اسلامية ، و قد اجتاح عقبة الشمال الافريقي باسرى حتى وصل ساحل المحيط الأطلسي ، و يذكر المسلمون كلمته المشهورة " تالله لو علمت أن أرضا وراء هذا البحر لعبرته على ظهر الخيل و فتحها للإسلام " و لكنه لم يعش ليكمل فتح المغرب (شمال غرب افريقيا) ليضمها الى ديار الاسلام فقد توفي في 63هـ/773م ، و قد استلم موسى بن نصير مسؤولية افريقيا بتكليف مباشر من الخليفة في دمشق فوسع الحدود الى الأطلسي و أخضع داخل البلاد الى حكم مباشر ، و قد عرض الاسلام على سكان البربر فبدأوا بالدخول فيه أفواجا في عام عام 92هـ/711م ، نزل طارق بن زياد و هو بربري اعتنق الاسلام عند صخرة قرب النهاية الجنوبية من شبه جزيرة الايبيرية ، و قد عرفت الصخرة باسم "جبل طارق" ثم تحرف اسمها في اللغات الاوروبية . فأقبل الملك "رودريكه دلوزيف" على رأس الجيش[1] من خمسة و عشرين ألأف مقاتل لمواجهة المسلمين ، فهزم شر هزيمة و قتل في معركة و بهذا النصر فزال أي احتفال عن وجود مقاومة مركزية و لم يبق سوى حاميات محلية في المدن ، و قد تساقطت هذه الواحدة بعد الاخرى ، اما بعد عصار قصير أو بهجوم مباشر ، فسار طارق نحو طليطلة (telelo) العاصمة و استولى على ايجة (ecija) ،في طريقه استولى فيلق آخر على أرشدونه

[1]- الدكتور اسماعيل راحي الفاروقي، المرجع نفسه، ص314.

(archahidlon) ، و ثالث على أليبرة (einnira)و سار فيلق رابع بقيادة معث الرومي و استولى على قرطبة و في السنة التالية وصل موسى بن نصير نفسه الى البلاد على رأس جيش ()من عشرة آلاف مقاتل جديد و كان غرضه مهاجمة المدن المحصنة التي تجنبها طارق في تقدمه ، فسقطت المدينة و أرشدونة sidonia ، و قرمونة garmona ، و اشبيلية sevillo، و ماردة marida ، واحدة بعد الاخرى بأيدي المسلمين قبل نهاية السنة ، ثم واصلت القوات الاسلامية تقدمها الى الأرغون و ليون و أستوريش و غاليبا ، و بالاستيلاء على سرقسطة ، تقرر مصير اسبانيا أطلق عليها المسلمون اسم الأندلس و لم يتوقف المسلمون في اسبانيا ، بل واصلوا تقدمهم و دخلوا فرنسا حتى بلغوا بواتيه ، تور حيث جرت معركة"ستارل مارتل" أوقعت تقدمهم الى الشمال عام 113هـ/732م ، لكن تقدم المسلمين في فرنسا لم يتوقف فقد سقطت أقتينيون بأيدي المسلمين بعد سنتين115هـ/734م ، ثم أعقب ذلك سقوط ليون و ناربون ، و أغلب منطقة بروفتسن نزولا الى البحر المتوسط بعد ذلك بعامين آخرين[1] .

ان دراسة المعارك البحرية في المغرب العربي و الأندلس تقدم لنا أمثلة عديدة عن المستوى المتطوريين الأساطيل العربية الاسلامية و بين القوات البرية .

قام الخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن بن علي منذ سنة 546هـ/1151م بعمليات عسكرية برية و بحرية واسعة النطاق ، فأنشأ القصور و القلاع و الرباطات على أن العمل العسكري الهام الذي توج أعمال عبد المؤمن و خلد ذكراه هو تلك المدينة الحصينة التي بناها على سفح جبل طارق سنة 555هـ/1160م و سماها مدينة الفتح لتكون قاعدة عسكرية كبرى لتجمعات جيوشه القادمة من المغرب ، و منذ ذلك الوقت صار جبل طارق يعرف أيضا بجبل الفتح .

و من دراسة معركة ذات الصواري نرى أن الأسطول العربي قد .....بكل ما يلزمه من مؤن و أسلحة [2].

و هك

---

[1] المرجع نفسه ، ص 313.

[2] وفيق بركات ، المرجع السابق، ص ص 120-187.

وهكذا نرى أن السفن التجارية و الحربية على حد السواء بطريقة تستطيع معها الدفاع عن نفسها في نفس الوقت الخطر ولذا أصبح من العسير التفرقة بين السفن الحربية و التجارية [1]

[1] سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص 162.

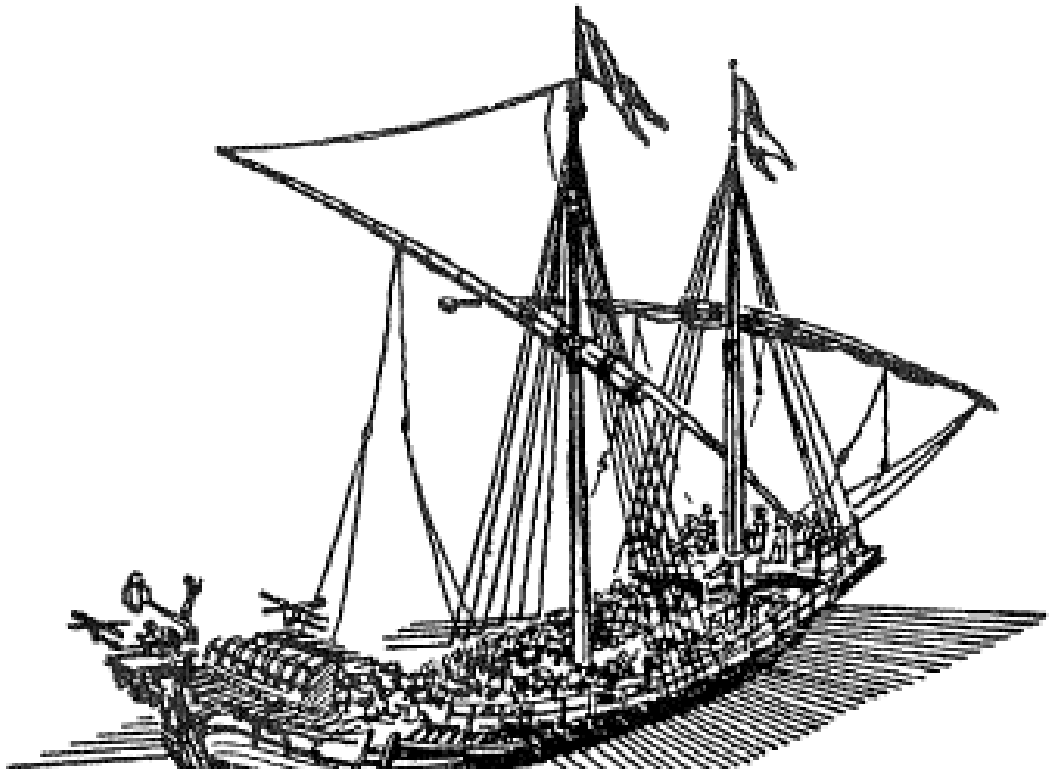
خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع تطور صناعة السفن في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 1هـ-5هـ/7م-11م توصلنا إلى النتائج التالية:

- إهتمام المسلمين بصناعة السفن وذلك لكثرة حاجتهم إليها باعتبارها السلاح الأول لهم وقد اعتمدو في صناعة سفنهم على الأمم التي سبقتهم مثل البيزنطين.
- ومن عوامل نشأة السفن أنهم كانو يستخدمونها في فتوحاتهم وغزواتهم عن طريق توفر مواد الخام و الأيادي العاملة وذلك باستغلالها في بناء سفنهم وكذلك بعض الأراضي العربية مثل مصر والشام لغناها بهذه المواد مع وجود الأقباط والعناصر العربية اليمنية التي لعبت دورا كبيرا في صناعة السفن العربية الاسلامية.
- وقد عرف العرب أنواع متعددة تعددت أشكالها وأحجامها مثل الشواني والحراريق والجارية وجلاسة والأغربة والحمالات، والقرقور والقادس....الخ.
- وتعدد معداتها كذلك التي تتعتبر من الأجزاء الهامة باعتبارها القلب النابض للسفينة مثل المجاديف والشرع والمجانيق والزخارف.
- تعدد القواعد والمراكز ذات الأهمية الواسعة في صناعة السفن بالنسبة للرقعة العربية مثل مصر التي تضم (الاسكندرية، ودمياط)، وكذلك بلاد الشام التي تضم (عكا، اللاذقية، صور، بيروت)، الأندلس والتي تضم (المرية، وطرطوشة)، أما بالنسبة للمغرب الذي يضم (سبتة، سلا) أما المغرب الأوسط فنجد (بجاية بمراسيها مثل مرسى الخرز ومرسى الدجاج، وبونة).
- الأهمية البالغة لهذه السفن خاصة في المجال العسكري والتجاري، ففي المجال التجاري تنحصر في افريقيا الشمالية في الشرق والغرب، أما القيروان فقد اشتهرت بتجارتها لأنها ملتقى السفن القادمة من مختلف النواحي، بالاضافة إلى ميناء بجاية وسبتة وأهميتهما التجارية البالغة.
- أما المجال الحربي فكانت تستعمل السفن في الغزو وشحن العدو بالسلاح الذي يطلق عليه لفظ الأسطول بمعنى مجموعة سفن الحرب، وخاصة في القرن الثالث ميلادي في العصر الأموي بد أن اصبح لتونس أسطولا خاصا الذي شهدت عدة تنظيمات محكمة، وكذلك في عصر الموحدين الذين قامو بعمليات عسكرية عن طريق سفنهم متعددة الأحجام والأنواع.

الملاحق

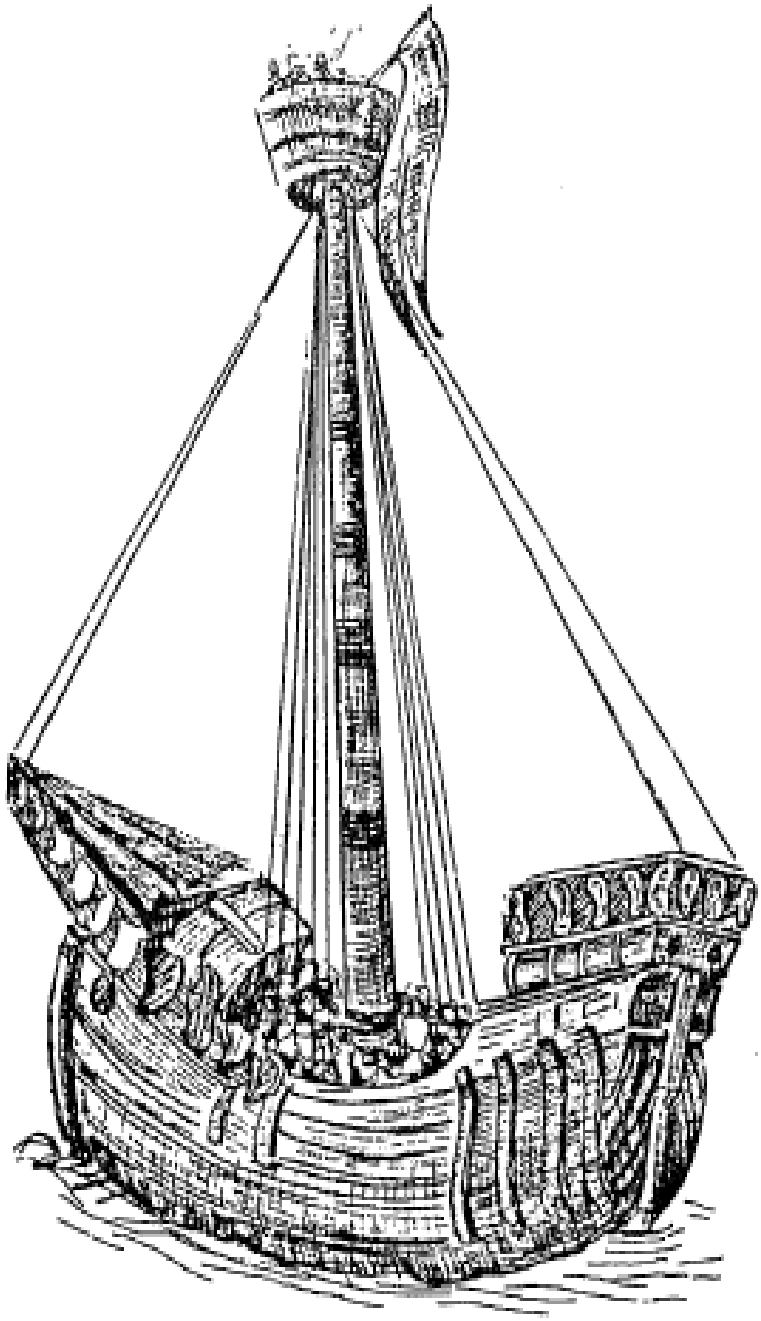
ملحق رقم 01 الشانية



- ثانيـــة من شوانى العـــرب

وفيق بركات ، **فن الحرب البحرية في التارخ العربي الاسلامي** ،معهد التراث العلمي العربي، 1416هـ/1995م، ص 150.

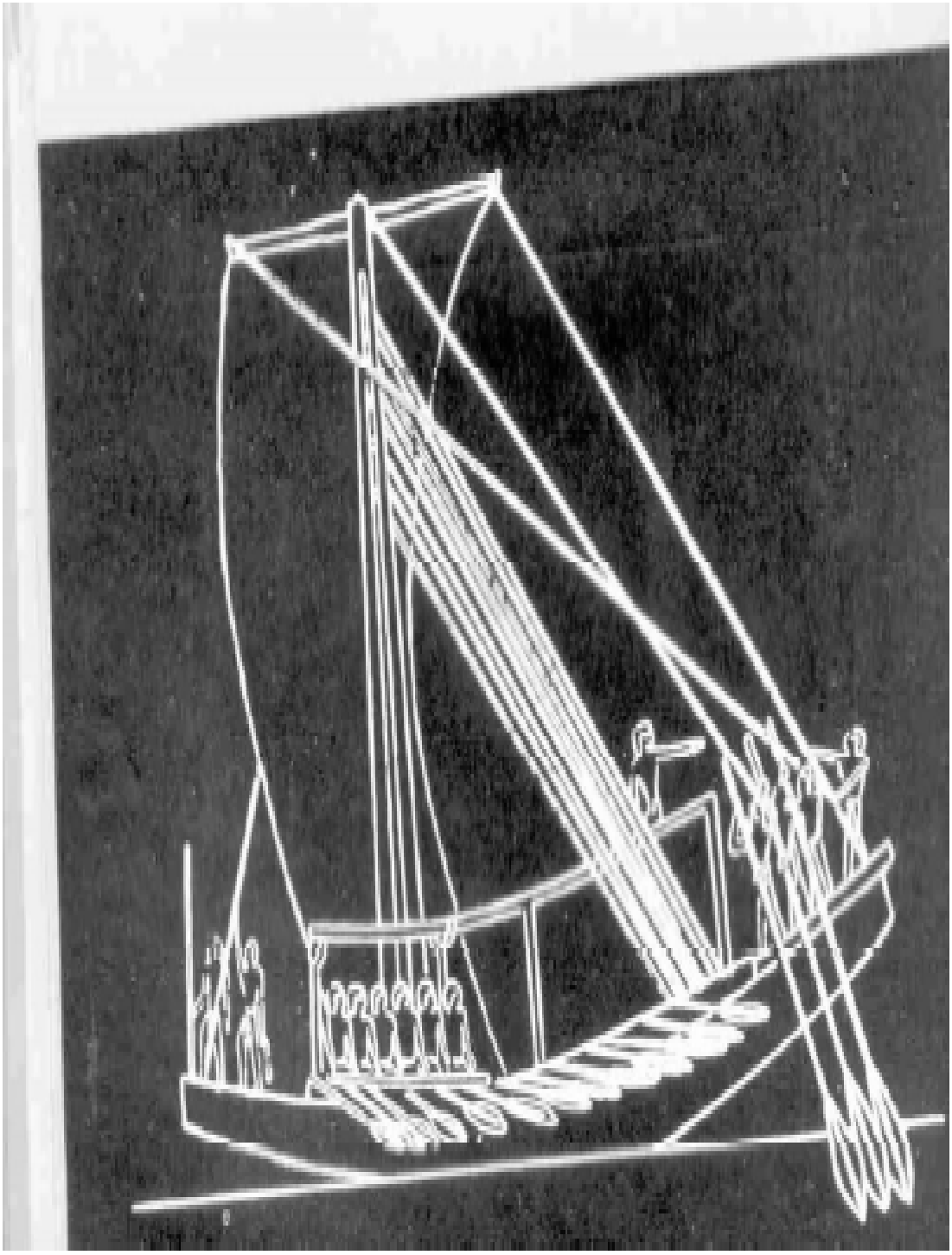
ملحق رقم: 02 حراقة



– حراقـــة من مراكب العـــرب

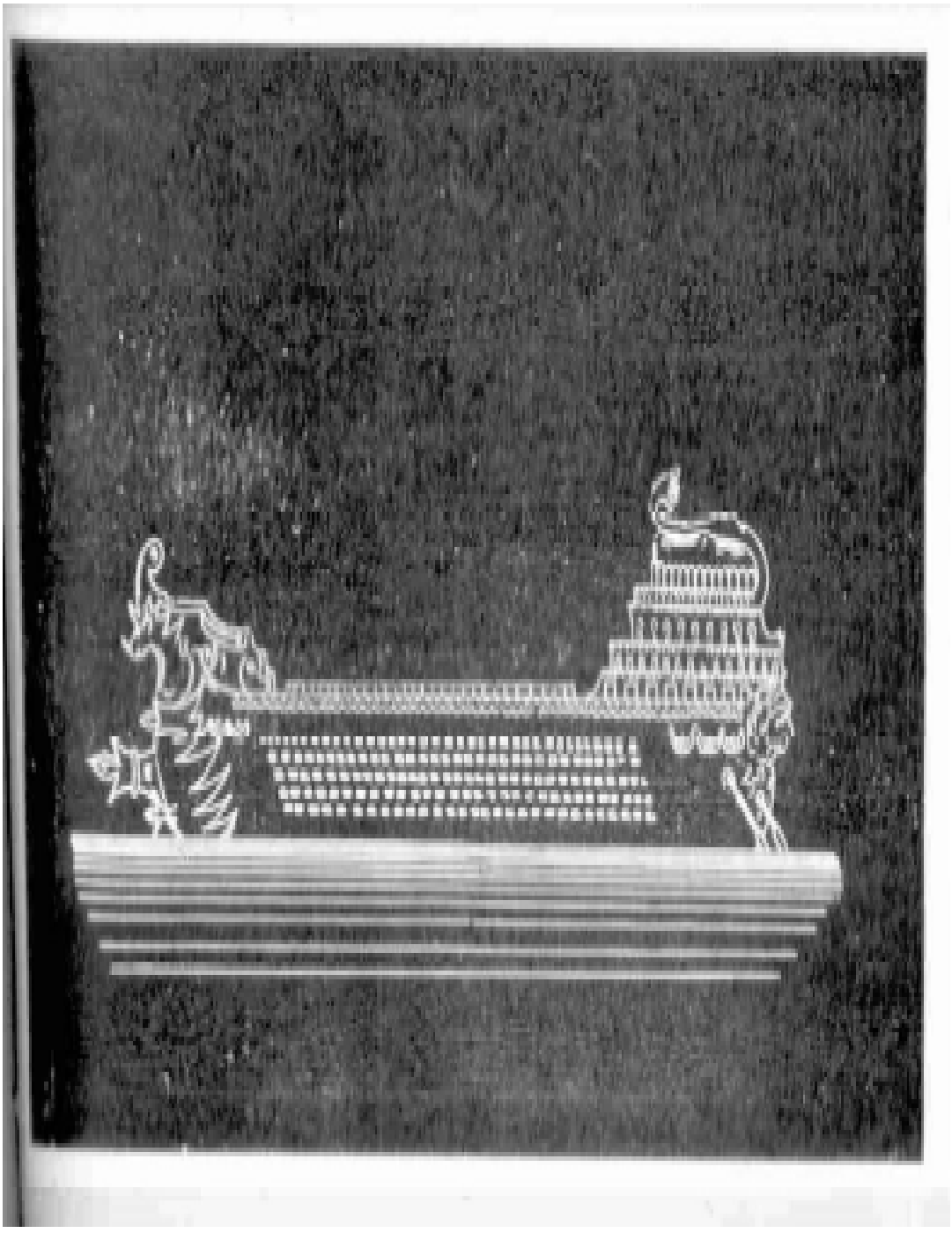
وفيق بركات ،المرجع السابق، ص152.

ملحق رقم: 03 المجاديف



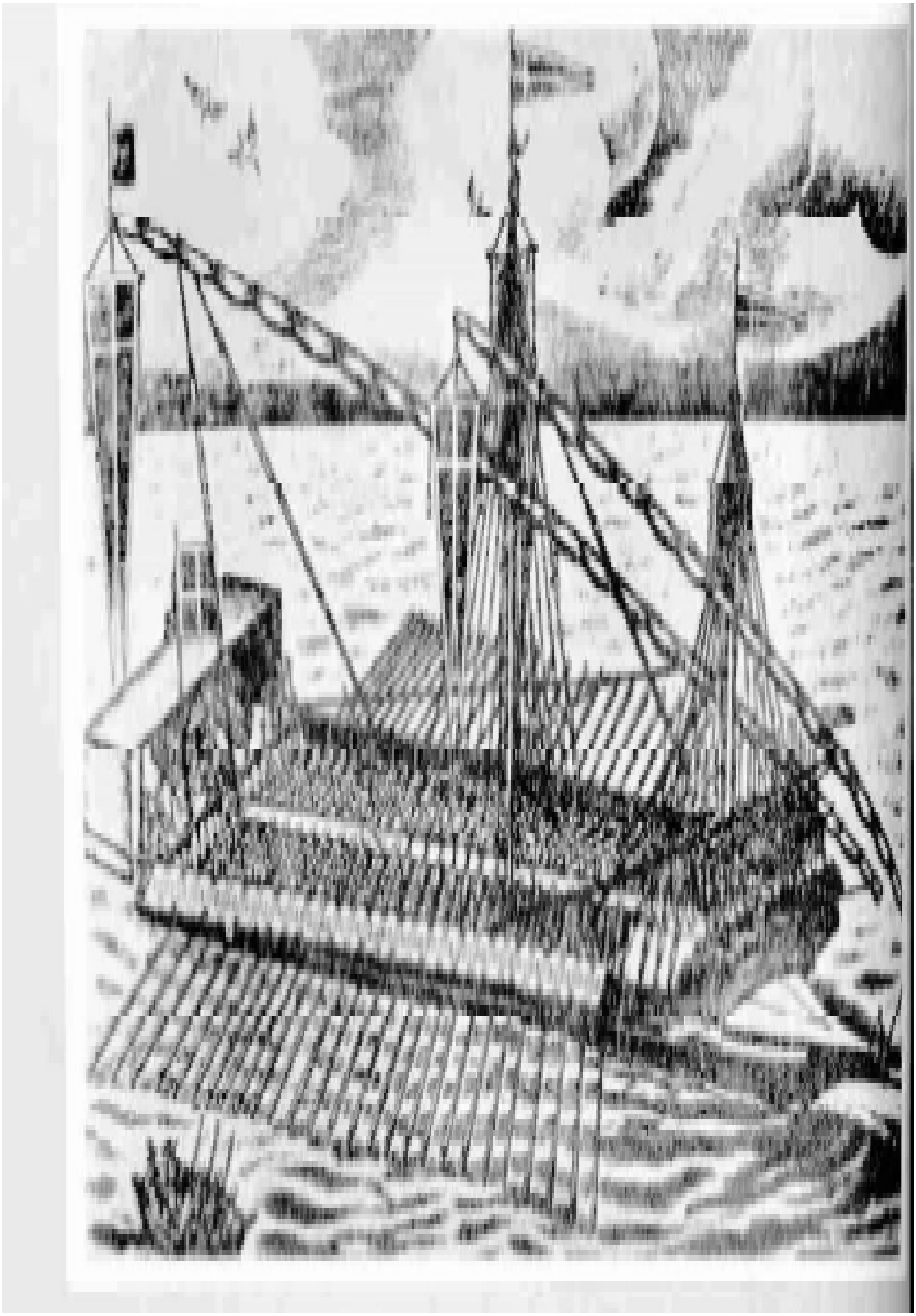
سعاد ماهر ،البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكتاب القرى للطباعة والنشر ص442.

ملحق رقم: 04 الشرع



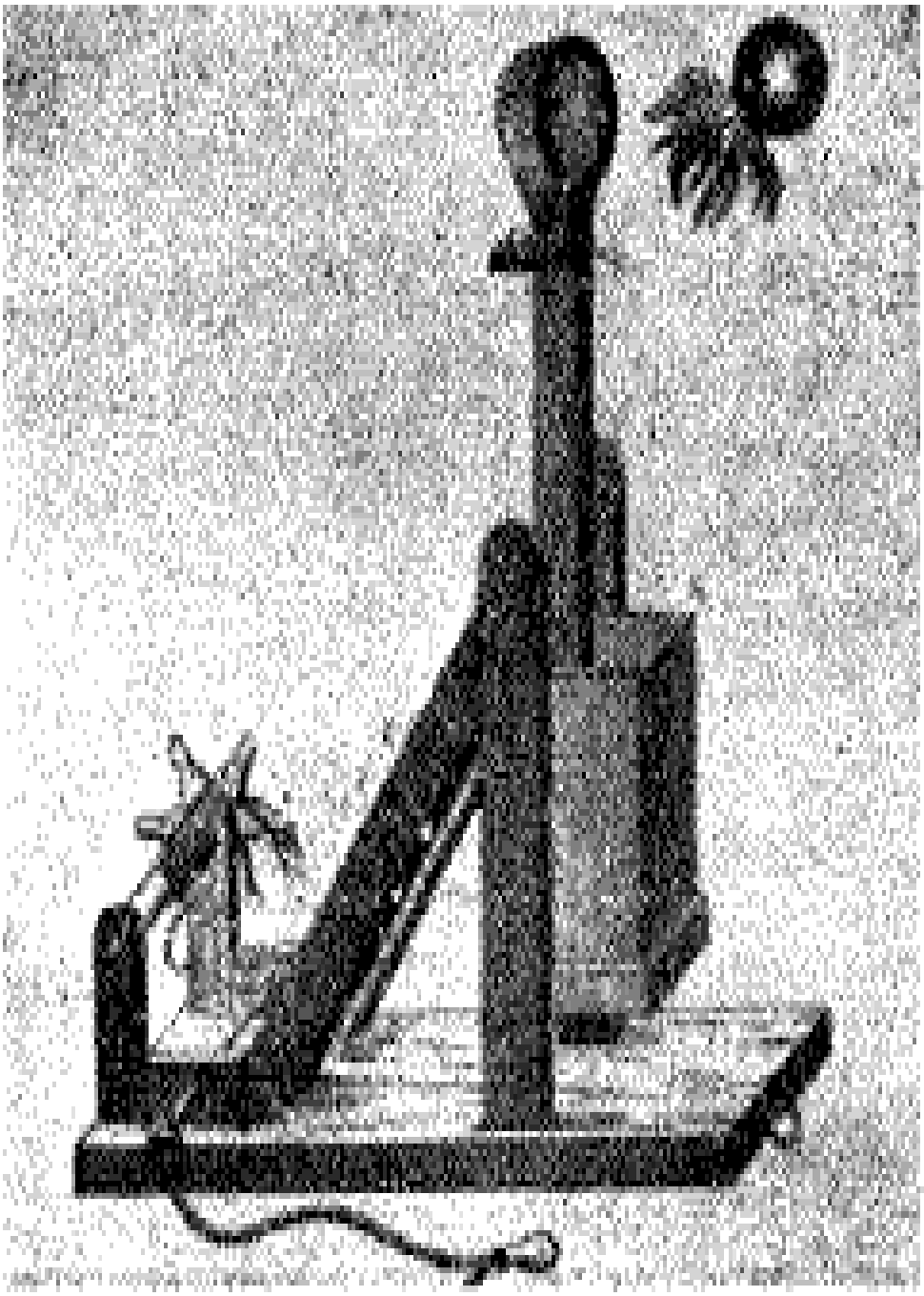
سعاد ماهر ،المرجع نفسه: ص 452.

ملحق رقم: 05 الزخارف



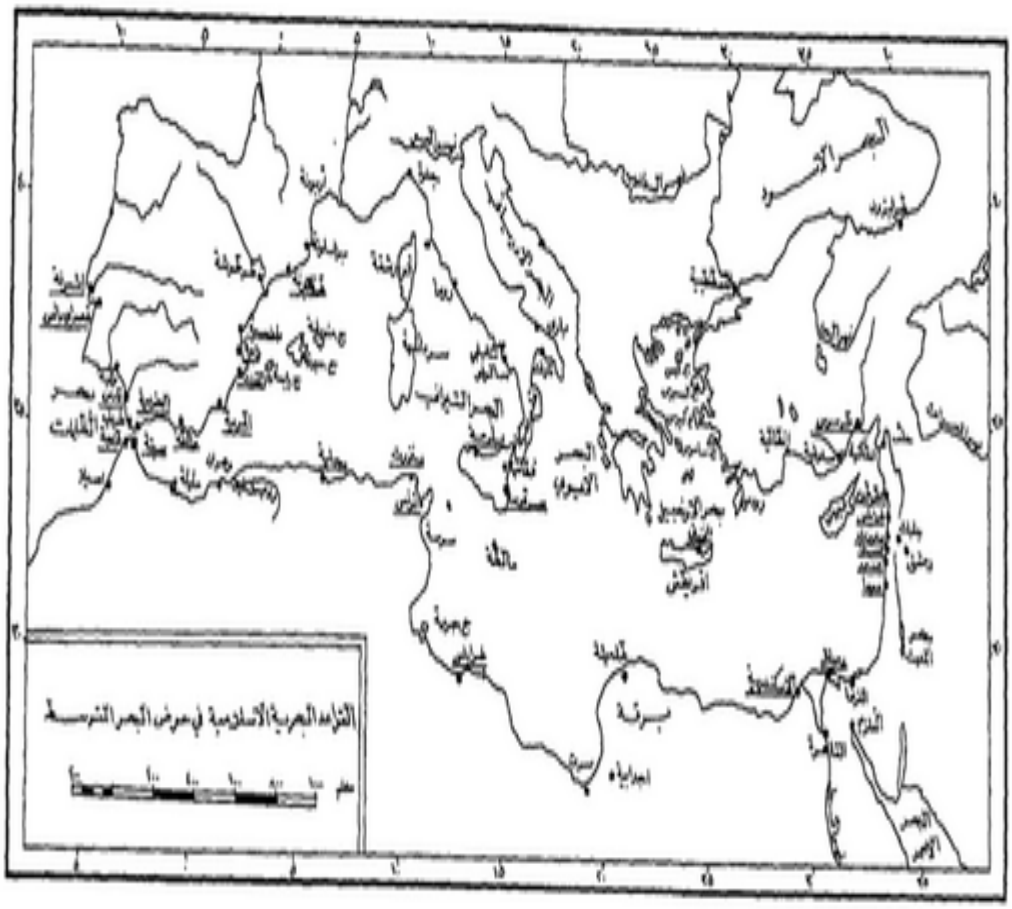
سعاد ماهر ،المرجع نفسه ،ص 452.

ملحق رقم: 06 منجنيق لرمي النفط



عبد الفتاح عبادة، **سفن الاسطول الاسلامي وانواعها ومعداتهافي الاسلام**، مطبعة الهلال، مصر، 1913.ص8

ملحق رقم: 07 خريطة تبن القواعد البحرية الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط



أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام،جامعة بيروت العربية، ص 11.

ملحق رقم: 08 خريطة تبين مدن وثغور بلاد الشام في العصر الاسلامي



وفيق بركات،**المرجع السابق** ،ص 76.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القران الكريم الكريم.

1/المصادر :

1. ابن ابي المهاجر دينار ،ابو عبد الله الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني : المؤنس في اخبار افريقية وتونس ،ط1،مطبعة الدولة التونسية 1969م.
2. ابن جبير ابو الحسين مُحَّد بن احمد البلنسي :رحلة ابن جبير ،ج4،تح حسين نصار ،نشر مكتبة مصر القاهرة،طبعة ويليام رايت.
3. ابن حوقل (ابو الفاسم مُحَّد النصيبي)ت بعد367هـ -977م.صورة الارض ،منشورات ،دارمكتبة الحياة،بيروت،بدون تاريخ.
4. ابن خلدون،عبد الرحمان ت808هـ/1606م:العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر ،دار الكتاب اللبناني ،مكتبة المدرسة ،بيروت لبنان،ط1983
5. ابن شداد ،ابو المحاسن يوسف بن رافع المكنى بابي المحاسن :النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية ،تح جمال الدين الشيال،ط1،القاهرة،1964م
6. ابن عذاري المراكشي :البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،ج 1،ط3،تح ليفي بروفنسال،دار العربية ل-الكتاب بيروت ،1983.
7. ابو شامة ،عبد الرحمان بن اسماعيل بن ابراهيم شهاب الدين الشافعي الدمشقي ،الروضتين في اخبار الدولتين النورية والاصلاحية ،مطبعة وادي النيل القاهرة ،1287هـ-1288هـ.
8. ابو مُحَّد عبد الله بن مُحَّد احمد التجاني،رحلةالتجاني،تق المرحومة،العلامة حسن الحسني عبد الوهاب،دار العربية للكتاب،ليبيا،تونس،1981م
9. الادريسي ابوعبد الله مُحَّد ت560هـ/1164،نزهة المشتاق في اختراق الافاق،مطبعة بريل-ليدن ،1968م.
10. البكري ،ابو عبيد الله بن عبد العزيزت487هـ/1094م:المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب جزء الذي بين المسللك والممالك،دار الكتاب القاهرة .

11. البلاذري،احمد بن يحي بن جابر :فتوح البلدان ،تحقيق صلاح الدين المنجد ،القسم الاول ،القاهرة 1956.

12. الحميري عبد المنعم :كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ،تح احسان عباس ،مؤسسة ناصر للثقافة،ط2 ،1980.

13. الخفاجي :شفاد الغليل فيما يفي كلام العرب من الدخيل ،بيروت ،ط1481،1هـ-1998م.

14. السيد مُحَمَّد السيد مرتضى الزبيدي :تاج العروس من جوهر القاموس،وزارة الاعلام مطبعة الحكومة ،الكويت.

15. الفيروز ابادي،مجد الدين بن يعقوب مُحَمَّد ابن ابراهيم الشيرازي الشافعي :ت817هـ القاموس المحيط ،مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة ،اشراف مُحَمَّد نعيم العرقوسي ،ط1926،8هـ.

16. لسان الدين مُحَمَّد عبد الله ،776هـ-1274م:الاحاطة في اخبار غرناطة .

17. المسعودي ،ابو الحسن علي الحسبن:مروج الذهب ،تح الاستاذ محي الدين عبد الحميد ،ج1،القاهرة 1958م.

18. المقريزي،تقي الدين احمدبن علي :المواعظ والاعتباربذكر الخطط والاثار ،القاهرة 1270م،ج2،.

19. ياقوت الحموي ،شهاب الدين ابوعبد الله ت626هـ/1229م:فتوح البلدان :ج2،دار النشر ،بيروت ،1397هـ-1957م.

ب- قائمة المراجع:

1. أرشبالد لويس،القوى البحرية والتجارية500م-1100م،ترجمة مُحَمَّد شفيق غربال،مكتبة النهضة المصرية.

2. جرجي زيدان ،تاريخ التمدن الاسلامي،ج1،مؤسسة الهنداوي لتعليموالثقافة،القاهرة.

3. جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،ج7،ط1241،3هـ-1993م.

4. الجيلالي عبد الرحمان ،تاريخ الجزائر العام ،ج1،ط3،دار الثقافة ،بيروت .

حسن ابراهيم حسن،تاريخ الاسلام،ج1.
5. درويش النخيلي،السفن الاسلامية على حروف المعجم مطبوعة ،جامعة الاسكندرية،1974.
6. سعاد ماهر،البحرية الاسلاميةواثارها الباقية،دار الكتابالعربي،للطباعة والنشر،1967م.
7. السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس،بيروت ،1970م.
8. السيد عبد العزيز سالم واحمد المختار العبادي،تاريخ البحرية الاسلاميةفي مصروالشام،جامعة بيروت العربية،1972م.
9. السيد عبد العزيز سالم،تارخ مدينة مرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس،مؤسسة شباب الجامعةللطباعة ونشر،الاسكندرية،1984م.
10. عبد الحليم عويس،دولة بني حماد،ط2،دار الصحوة،القاهرة ،1411م.
11. عبد الفتاح عبادة ،سفن الاسطول الاسلامي وانواعهاومعداتهافي الاسلام،مطبعة الهلال ،بالفجانة،مصر ،1993م.
12. علي مُحَّد الصلابي ،الدولة الاموية عوامل الازدهاروالتداعياتالانهيار ،ط2،دار المعرفةنبيروت ،لبنان،1429هـ-2008م.
13. عمر طرسون،الجيش المصري البري والبحري مكتبة مدبولي،القاهرة.
14. فؤاد عبد الباقي ،المعجم المفهرس للالفاظ القران الكريم،دار الفكر،1981م.
15. مُحَّد كرد علي ،خطط الشام،ج1،ط3،مكتبة النويري،دمشق،1983م.
16. محممد ياسين الحموي،تاريخ الاسطول العربي ،1945م
17. محمود شيت خطاب،قادة الفتح الاسلامي المغرب العربي ،ج1،دار الفكر.
18. موريس لومبار ،الاسلام في مجده الاول من القرن الثاني الى القرن الخامس هجري ،تر اسماعيل العربي ،المغرب،ط3.
19. نجدت خماسين،الشام في صدر الاسلام،من الفتح حتى سقوط خلافةبني اميةندراسة للاوضاعالاجتماعية والادارية،ط1،طلاس للدراسات والترجمةو النشر،1987م
20. وفيق بركات،فن الحرب البحريةفي التاريخ العربي الاسلامي،معهد التراث العلمي ،1416هـ-1995م.

الأطاليس:

1. حسن مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، الزهراء للاعلام العربي ، ط1 ، 1407هـ/1987م.

أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، عالم المعرفة – العدد 13.

الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. موسى هيصام،الجيش في العهد الحمادي،405-1014،547م،رسالة الماجستير في التاريخ الوسيط،اشراف،موسى لقبال ،جامعة الجزائر،2000-2001.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

البسملة

شكر وعرفان.

إهداء .

الرموز والدلالات.

مقدمة .....ص أ .

فصل تمهيدي:الأوضاع السياسية والعسكرية قبل تطور صناعة السفن.....ص6

المبحث الأول : ظهور صناعة السفن في البحر االمتوسط.....ص8

1.تعريف السفينة .....ص9.

2.عوامل نشأة السفن .....ص11.

المبحث الثاني:أنواع السفن ومعداتها وقواعدها.....ص24

1/أنواع السفن .....ص25.

2/معدات السفن .....ص31.

3/قواعدها.....ص32.

المبحث الثالث:صناعة السفن التجارية والعسكرية ص49

1/صناعة السفن التجارية.....ص50.

2/صناعة السفن العسكرية.....ص52.

الخاتمة ص62

الملاحق.....63

قائمة المصادر والمراجع.....ص72

فهرس الموضوعات.....ص78